الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
كلية العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

مطبوعة بيداغوجية في مقياس:

الدراسات الاستشراقية للكتاب والسنة

وفق مقرر السنة الثالثة كتاب وسنة

مقدمة لاستكمال متطلبات الترقية إلى رتبة أستاذ محاضر أ

إعداد الأستاذ: **الرتبة:**

دحمان عزوز **أستاذ محاضر (ب)**

السّنة الجامعيّة :

1445/1444هـ -2023/ 2024م

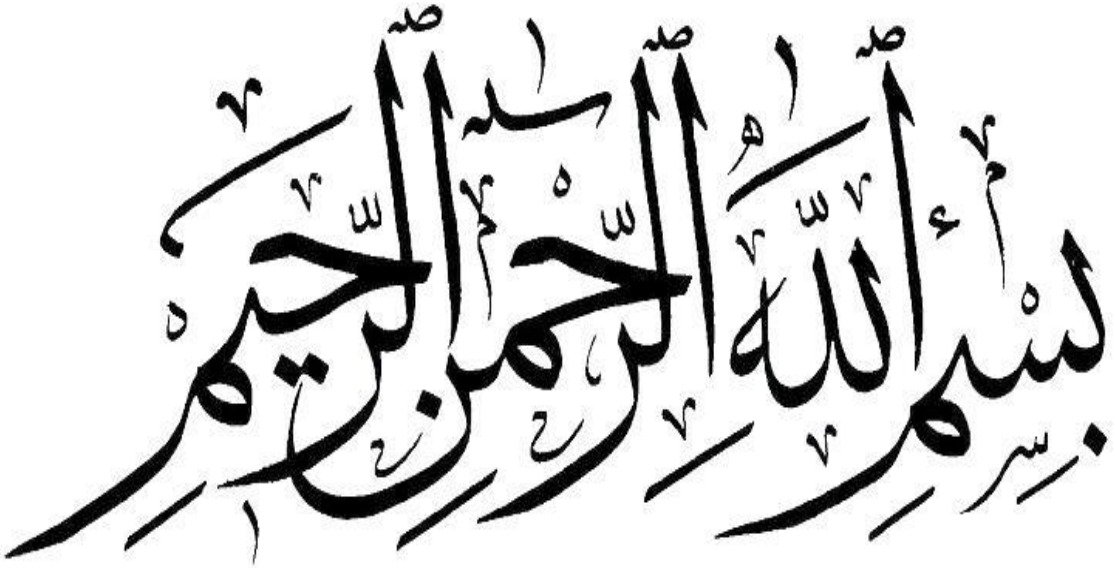
بسم الله الرحمن الرحيم

❖ **موائمة المقياس**

- **الكلية: كلية** العلوم الإسلامية
- **القسم:** أصول الدين
- **الفئة المستهدفة: طلاب** السنة ثالثة كتاب وسنة
- **عنوان الدرس: الدراسات الاستشراقية للكتاب والسنة**
- **الرصيد :2**
- **المعامل :1**
- **المدة:** 45 ساعة: أسبوعيا محاضرة
- **التوقيت: السبت 11:00-12:30**
- **المدرج: ج**
- **الأستاذة: د. عزوز دحمان**
- **التواصل** :عن طريق الإيميل *Azzouz.B25@Gmail.Com*

- **مفردات المادّة :**

– **مدخل إلى دراسة الاستشراق(1)** : مفهوم الاستشراق – نشأة الاستشراق وتطوّره أهداف الاستشراق – علاقة الاستشراق بالتنصير – علاقة الاستشراق بالاستعمار .

– **مدخل إلى دراسة الاستشراق** (2): مناهج المستشرقين في دراسة التراث الإسلامي –مظاهر النشاط الاستشراقي – محاولات جادّة لفهم الإسلام (نماذج)– فئات المستشرقين .

- – **المستشرقون والقرآن الكريم :**
- – **مدخل** : مكانة القرآن الكريم في حياة المسلمين وخطوته في نظر الغرب .
- – نماذج لآراء المستشرقين حول القرآن الكريم.
- – أهم الشبه(1) : حول الوحي (الصرع–الإلهام) – حول مصدر القرآن الكريم(شبهة الانتحال) .
- –أهم الشبه (2) : حول صحّة النص القرآني(التحريف) –حول ألفاظ القرآن الكريم .
- أهم الشبه (3) : حول جمع القرآن الكريم –حول الأحرف السبع– قصّة الغرانيق
- –ترجمة المستشرقين للقرآن الكريم .
- –أدوات المستشرقين ووسائلهم لترجمة القرآن .

- –دوافع المستشرقين إلى ترجمة القرآن الكريم .
- – **المستشرقون والسنّة النبوية :**
- – **مدخل :** منزلة السنة من الدين – منهج المحدّثين في التعامل مع السنّة .
- – جهود المحدّثين في حفظ السنّة .
- – منهج المستشرقين في التعامل مع السنّة
- – **شبه المستشرقين حول السنّة :**
- –تدوين الحديث .
- – وضع الحديث .

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وحملة سُنّته والمدافعين عنها إلى يوم الدين وبعد:

يعتبر الاستشراق من أبرز التحديات الفكرية في مسيرة الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر، فقد مثلت كتابات المستشرقين ومشاريعهم الفكرية رصيدا هاما للباحثين والدارسين في ميدان الحضارات، والمتقصد لهذه الأعمال وبنيات الأفكار فيها يقتنص قيما فكرية وإضافات معرفية ممزوجة بأعطاب منهجية وسقطات فكرية رغم ما حوته من جهد دراسي لكثير من القضايا الهامة.

إن مقياس الدراسات الاستشراقية هو مقياس يدرس في السداسي الخامس لطلبة السنة الثالثة كتاب وسنة بقسم أصول الدين، يركز على أسرار الفعل الاستشراقي وما حوته من معارف وتوجهات فكرية، ومكامن العلاقة بينه وبين الاستعمار والهيمنة الغربية على العالم الإسلامي طيلة القرنين السابقين ،وكذا مقدوفات الفعل الاستشراقي على القرآن والسنة .

يهدف تدريس هذا المقياس الى مواكبة الطالب للتطور الذي عرفه البحث العلمي في الدراسات الاستشراقية، وأن يتعرف على أهمية ما يختزنه المقياس من شبه ومقذوفات فكرية موجهة للكتاب والسنة، وذلك عبر تنمية قدرات الطالب التحليلية والحجاجية باعتبار أن المحاضرة نظرية تحتاج إلى الكثير من التركيز واستخدام المخيلة والتحليل لاستخراج ومواكبة النتاج الفكري والمعرفي في حقل الفعل الاستشراقي.

كما ذيلت هذه المطبوعة بخاتمة، أجملت فيها مجموعة من النتائج، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الأستاذ: دحمان عزوز

المحاضرة الأولى: مدخل إلى دراسة الاستشراق

مفهوم الاستشراق

سنحاول أولا أن نمهد بتعريف للاستشراق من الناحية اللغوية والاصطلاحية بما يفيد في تقديم مفهوم محدد للاستشراق أو الظاهرة الإستشراقية[1]،لنؤثث البحث من خلال هذا المفهوم حول الاستشراق كأحد أهم مباحث الفكر التي تقصدها بن نبي وعايش قضاياها وتفاعل معها شخصيا.

الاستشراق لغة :

تأتي لفظة شرق:بما معناه "شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقاً: طلعت، واسم الموضع: المشرق... والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شتان بين مشرّق ومغرّب، وشّرقوا ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق "[2].

وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس أن الاستشراق فعله (شرق) الشين والراء والقاف أصلٌ واحدٌ يدلُّ على إضاءةٍ وفتحٍ، من ذلك شرقت الشّمسُ، إذا طلعت، واستشراق على وزن استفعال ومن معاني الإستفعال الطلب والاتخاذ [3]، فالاستشراق إذا طلب الشرق.

---

[1]–قد نستخدم أحيانا في ثنايا هذه الدراسة مصطلح الظاهرة الإستشراقية ونعني به الإستشراق.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق،ج 8، ص 64.

[3]– ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج 3، ص204.

ولفظة ORIENTتشير إلى منطقة الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية بكلمة " تتميز بطابع معنوي وهو Morgenland :وتعني بلاد الصباح، ومعروف أن الصباح تشرق فيه الشمس، وتدل هذه الكلمة على تحول من المدلول الجغرافي الفلكي إلى التركيز على معنى الصباح الذي يتضمن معنى النور واليقظة، وفي مقابل ذلك نستخدم في اللغة كلمة Abendlandوتعني بلاد المساء لتدل على الظلام والراحة[1]".

وبتتبع الجذر اللغوي اللاتيني orientaleفهو يعني "توجيه الحواس نحو اتجاه أو علاقة ما في مجال الأخلاق أو الاجتماع أو الفكر أو الأدب نحو اهتمامات شخصية في المجال الفكري أو الروحي، وبذلك يتبين أن مصطلح الاستشراق ليس مستمداً من المدلول اللغوي، بل من المدلول المعنوي لشروق الشمس التي هي مصدر العلم[2].

وهو ما قد يقودنا إلى تحديد مدلول الاستشراق كما سيرد في تعريف الاستشراق الاصطلاحي.

الاستشراق اصطلاحا:

في تتبعنا لتعريف الاستشراق وجدنا أن بعض التعريفات –الأقرب إلى اللغوية–تمتزج مع بنية المفهوم الاصطلاحي ومن تلك التعريفات أن الاستشراق كمصطلح الاستشراق مأخوذ من

---

[1]– مازن بن صلاح مطبقاني، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1995م.ص 12.

[2]– المرجع نفسه، ص 15.

كلمة شرق ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء، ومعناها طلب الشرق، وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه[1].

وقد عرفه الدكتور عبد المتعال في كتابه الاستشراق وجه للاستعمار الفكري بأنه: " دراسة علوم الشرق، وأحواله وتاريخه، ومعتقداته وبيئاته الطبيعية والعمرانية والبشرية، ودراسة لغاته ولهجاته، وطبائع الأمة الشخصية في كل مجتمع شرقي، فلكل أمة مشخصاتها، ودراسة الأشخاص والهيئات والتيارات الفكرية والذهنية في شتى صورها وأنواعها ". [2]

وهذا التعريف يشير بوضوح إلى مضامين الاستشراق التي تسعى لاستكناه الشرق في جميع مناحيه وكذا دراسة شعوب الشرق وثقافتها وبنيتها الفلسفية والخلقية.

كما يعرف المستشرق "رودي بارت" الاستشراق بأنه: " علم يختص بفقه اللغة خاصة، وأقرب شيء إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه، وكلمة استشراق مشتقة من كلمة "شرق" وكلمة شرق تعني مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي"[3].

---

[1]– إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط ،مرجع سابق، ج 1، ص 469.

[2]–عبد المتعال محمد الجبري، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، ط 1، مكتبة وهبة، القاهرة–مصر،1995م، ص 12.

[3]– بارت رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه، ترجمة: مصطفى ماهر، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة،2011م، ص 11.

والملاحظ على تعريف بارت أنه يستند إلى الدلالة اللغوية لكلمة استشراق ويربطها بالشرق محل البحث والدراسة.

ويعرف المستشرقون بحسب أدوارهم الوظيفية وبكونهم:" جماعة من علماء الغرب –من مسيحيين ويهود وملحدين –درسوا اللغات الشرقية من عربية وفارسية وعبرية وسريانية وغيرها، وتوفر كثير منهم على دراسة اللغة العربية والاطلاع الواسع على علومها ومعارفها؛ لاتخاذ هذه الدراسة وسيلة للقاء كثير من المفتريات والأباطيل في محيط الإسلام للتهوين من شأن الدعوة الإسلامية والتقليل من أثرها في الحياة، وفي الارتفاع بالمستوى الإنساني، وبدورها في إنقاذ الإنسانية وتحريرها من العبودية، وإخراجها من الظلمات إلى النور"[1].

ويبدو من التعريف تهجم على المستشرقين وأدوارهم، ويسعى لكشف زيوفهم نظير ارتباطهم بأدوار وظيفية بعيدة عن المعرفة العلمية الموضوعية.

وقد يعرف المستشرق بأنه: "كل من تجرد من أهل الغرب لدراسة بعض اللّغات الشّرقيّة، وتقصِّي آدابها طلبا لتعرف شأن أمّة أو أمم شرقيّة من حيث أخلاقها وعادتها وتاريخها ودياناتها أو علومها، وآدابها وغير ذلك من مقومات الأمم"[2].

---

[1]– عبد المنعم محمد حسنين، الإستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، لجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الطبعة: السنة العاشرة – العدد الثاني، 1397هـ – 1977 م، ص79.

[2]– محمد ماضي، الوحي القرآني في المنظور الإستشراقي، دار الدعوة للطبع والنشر، ط 1، 1996 م، ص13.

ولا يفوتنا أن نرجع إلى ما كتبه إدوارد سعيد حول هذا الموضوع من خلال كتابه الشهير: "الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء "، حيث عرف الاستشراق باعتباره: " أسلوب في التفكير مبني على تميّز متعلق بوجود المعرفة بين "الشرق وبين الغرب" كما يرى بأنه ليس مجرد موضوع سياسي أو حقل بحثي ينعكس سلباً باختلاف الثقافات والدراسات أو المؤسسات وليس تكديساً لمجموعة كبيرة من النصوص حول المشرق... إنه بالتالي توزيع للوعي الجغرافي إلى نصوص جمالية وعلمية واقتصادية واجتماعية وفي فقه اللغة"[1].

والمقصود هنا الشرق الإسلامي بمقابل الغرب المسيحي هذا الأخير يروم احتلال الشرق ويسعى لمحاولة إخضاعه وتطويعه.

وفي موضع آخر يعرف سعيد الإستشراق بأنه" المجال المعرفي أو العلم الذي يُتوصل به إلى الشرق بصورة منظمّة كموضوع للتعلم والاكتشاف والتطبيق. ويقول في موضع آخر إنّ الإستشراق: نوع من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة حكم الغرب للشرق[2]".

وهو بذلك عمد إلى كشف زيفه، وربطه بالعنصرية الغربية ضد الشرق بعامة، والإسلام والمسلمين والعرب بصفة خاصة، ومما ذكره إدوارد سعيد أيضا " أن المستشرقين انتهجوا في

---

[1]– إدوارد سعيد، الإستشراق: المعرفة–السلطة –الإنشاء، ط5، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 2005 م، ص 55.

[2]– المرجع نفسه، ص 55.

دراستهم للإسلام منهجًا يستجيب للمراحل التاريخية التي مرَّ بها الغرب في علاقته بالشرق والإسلام، وأنهم عمدوا إلى تطبيق المقاييس النصرانية على الدين الإسلامي"[1].

يشير هذا الموقف المعرفي لإدوارد سعيد من الإستشراق إلى الواقع التاريخي الذي شهد تبلور الإستشراق، فهو يرى أن الإسلام وحضارته وتراثه وعلومه أصبح مفعولا به في المنتج الإستشراقي.

وبحسب إدوارد سعيد فقد شغلت دراسة الشرق والعلائق التاريخية بينه وبين الغرب حيزا كبيرا من أعمال المستشرقين وأبحاثهم وفق مناهج ومراحل متعددة.

وعبر هذه المحاضرات نرى أن التعريف المختار هوما أورده عبد الحميد غراب حيث اعتبر الاستشراق:" دراسات "أكاديمية" يقوم بها غربيون من أهل الكتاب للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب: عقيدة، وثقافة، وشريعة، وتاريخًا، ونظمًا، وثروات، وإمكانيات.. بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي"[2].

---

[1]– المرجع نفسه ، ص 87.

[2]– أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، ط1، دار الأصالة للنشر والإعلام، الرياض، 1988م، ص7–8.

ووجه اختيارنا لهذا التعريف المحدد للاستشراق أنه مفهوم يتسم بالدقة في وصفه لرجالات الاستشراق (أكاديميين)، وأكثر شمولية من ناحية توصيف مجالات الاستشراق وأهدافه.

والملاحظ مما سبق سرده من تعريفات لمصطلح الاستشراق(Orientalisme)، أنها وان تعددت كمفاهيم ومضامين، لكنها تبقى متقاربة ومتكاتفة في مضامينها بما يفيد اعتبار هذه الظاهرة تمثل اتجاها فكريا يعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ودراسة الإسلام والعرب بصفة خاصة، وهي تتفق تقريبا على أن الاستشراق برز كظاهرة في إطار المناكفة الحضارية بين الشرق والغرب، ونقصد هنا الشرق الإسلامي بمقابل الغرب المسيحي هذا الأخير يروم احتلال الشرق ويسعى لمحاولة إخضاعه.

المحاضرة الثانية : نشأة الاستشراق وتطوّره

يمكن التحقيب تاريخيا لنشأة الإستشراق عبر مدارستنا لعديد الآراء التي حاولت تحديد مرحلية الظاهرة الإستشراقية، لكن استيفاء جل هذه الآراء يوجهنا إلى اعتبار الرأي الراجح في أن حركة الإستشراق بدأت في زمن انطلاق التبشير الديني المسيحي من أوروبا، عندما ظهرت أولى ترجمات القرآن الكريم سنة 1143م التي قام بها الأب بطرس المبجل[1]، وبعده كان أول مؤسس لكرسي الإستشراق بجامعة أكسفورد هو رئيس الأساقفة لود وكان ذلك عام 1636م.[2]

فيما يرجع البعض نشأة الاستشراق إلى مجمع فيينا الكنسي عام 1312م وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية مثل باريس وأكسفورد وغيرهما .[3]

وبالنظر إلى الحقبة الزمنية التي يحددها الدارسون للظاهرة الاستشراقية، وجدنا في بحثنا هذا أن اغلب الدراسات المؤرخة لنشأة الاستشراق وبواكير ظهوره تنطلق مما ذكرناه سابقا بدءا من مجمع فيينا الكنسي.

---

[1]– بطرس المبجل: فرنسي من الرهبانية البندكتية، رئيس دير كلوني، قام بتشكيل جماعة من المترجمين للحصول على أكبر قدر من المعرفة عن الإسلام، وقد كان هو ذاته وراء أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، ينظر: أنور محمود زناتي الطريق إلى صدام الحضارات، ص 09.

[2]– عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط1، دار العلم للملايين، 1993م، ص 442.

[3]– أحمد غراب، رؤية إسلامية للإستشراق،مرجع سابق، ص 26.

يقول مصطفى السباعي: "لا يُعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك، ولكن المؤكد أن بعض الرهبان قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم، وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات... وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلا بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة "بادو" العربية، وأخذت الأديرة والمدارس العربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية – وهي لغة العلم في جميع بلاد أوربا يومئذ – واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب، وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسات قرابة ستة قرون [1].

وهذا التأصيل التاريخي من السباعي يصف البعثات العلمية المعرفية المتقصدة للمعرفة والتحصيل العلمي، التي كانت أوربا ترسلها إلى الأندلس وكبريات حواضره، وهذه البعثات– بحسب السباعي–عادت إلى بلدانها برصيد معرفي هائل عن الحضارة العربية والإسلامية.

وبالتالي لعب هذا التواصل–بصورته المعرفية –دورا كبيرا في تكوين الصورة النمطية للاستشراق عن المسلمين وحضارتهم وثقافتهم، كما دعت الحاجة من خلال مشاهداتهم لحواضر العالم الإسلامي ومجتمعاته إلى دراسة هذا العالم الإسلامي المتنوع حضاريا.

---

[1]– مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ط 3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1405هـ – 1985م، ص 13 –14.

لقد شكلت الحروب الصليبية واحدة من أكثر الأحداث الحاسمة في التي أفرزت هذا الإهتمام الفكري بالشرق عامة والمجتمع الإسلامي خاصة.

وقد جاء الاهتمام نتيجة الانهزام العسكري الغربي في الحروب الصليبية، بعد أن علموا بأن هناك قوّة لدى المسلمين تدفعهم إلى الصمود في الحرب وهي القوة الدّينيّة والفكريّة التي لا يمكن أن تهزم عن طريق السّلاح، وإنما عن طريق الفكر، وذلك ما عملوا عليه " حيث اطّلعوا على علومهم وتبصّروا في لغاتهم، فتمت المناداة في سنة 712 هـ على "إنشاء كرسي للعبريّة والعربيّة والسريانيّة في روما على نفقة الفاتيكان وفي باريس على نفقة ملك فرنسا، وفي أكسفورد على نفقة ملك إنجلترا، وفي بولونيا على نفقة رجال الدّين فيها، وتم إنشاء الكراسي، ونشطت الدّراسات والإستشراقية، فدرست اللّغة العربيّة وعلوم المسلمين، وتُرجمت الكتب من اللّغة العربيّة إلى اللّغة اللاّتينيّة ترجمة علميّة " [1].

هذه الدراسات التي وسمت نفسها بالطابع العلمي المعرفي مثلت بواكير الفعل الإستشراقي في إطار استكشاف العالم الشرقي واستكناه الآخر.

فيما يذهب بعض الباحثين في الظاهرة الإستشراقية على غرار الدكتور عبد المنعم حسنين إلى اعتبار نتاج الفعل الإستشراقي امتداد للحروب الصليبية والصراع الديني بين الغرب الصليبي

[1]– علي بن إبراهيم النملة، كنه الإستشراق: المفهوم –الأهداف – الارتباطات، ط3، دار بيسان، بيروت–لبنان، 1432هـ–2011م، ص 54.

والشرق المسلم، وأن هذا الإستشراق أحد أدوات الهيمنة على الشرق في إطار استكشاف العدو من الداخل ومعرفة نقاط قوته وسر صموده.

من هذا المنطلق " أفرزت هذه المباحثات عن الإستشراق وأدواره التاريخية على أن الإستشراق مواكب لحركة الاستعمار الغربي لبلاد الشرق والإسلام، مما يدل على أنه امتداد للحروب الصليبية، وشكل من أشكالها " [1].

يظهر تاريخيا أن أول مؤتمر للمستشرقين تم انعقاده في باريس عام 1873 م[2]، وبعده توالت المؤتمرات والجمعيات التي عنيت بالدراسات المستهدفة للشرق في مضامين شاملة لأديانه وحضارته، ولازال نشاط هذا الفعل الإستشراقي مستمرا بمؤسسة راند [3]الإستشراقية ومثيلاتها.

---

[1]– عبد المنعم محمد حسنين، الإستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته،مرجع سابق،ص 80.

[2]– مصطفى السباعي ، الإستشراق والمستشرقون ،مرجع سابق، ص 15.

[3]– مؤسسة RAND منظمة غير ربحية تساعد على تطوير السياسات العامة وتحسين عملية اتخاذ القرار من خلال أبحاثها ودراساتها.نقلا عن موقع الرسمي لمؤسسة راند :،تاريخ الدخول: 2023/12/18.https://www.rand.org/ar.html

هذا التعريف الذي استقيناه من موقع المؤسسة وهو فيما يبدوا ذو طابع علمي معرفي خالص ،لكن الواقع والكتابات الفكرية الاسلامية تشير الى خلاف ذلك،فهي تذهب الى ان مؤسسة (راند) (RAND Corporation) التي اشتق اسمها من اختصار كلمتي "الأبحاث والتطوير"، أي (Research and Development)التي يقع مقرها الرئيسي في ولاية كاليفورنيا الأميركية، أحد أهم مراكز الدراسات الاستراتيجيّة الأمريكيّة، ويعدُّها البعض العقل الاستراتيجي الأميريكي. وهي الذراع البحثي شبه الرسمي للإدارة الأمريكيّة، والبنتاغون بوجهٍ خاص ، إطار الجهود الأمريكيّة

لقد نشأ الاستشراق لمقاومة الامتداد والتوسع العربي الإسلامي، هذا الامتداد الذي عبر إلى أوربا وسيطر على أسبانيا واجتاح جزءا من جنوب فرنسا حتى مدينة (بواتيه) أو بلاط الشهداء، ونفذ إلى جزيرة صقلية وبدأ يسيطر على جنوب ايطاليا معقل المسيحية، وكان من نتيجة ذلك أن تألف (مؤتمر فيينا ١٣١١) الذي ترأسه البابا كليمان الخامس وتقرر فيه تأسيس مدارس خاصة في برلين وبولون واكسفورد وسلمنكة تدرس فيها العربية والعبرانية والكلدانية لنخرج وعاظ يستطيعون تنصير المسلمين أو تشكيكهم في عقائدهم.[1]

من خلال ما سبق يمكن التوصل إلى أن الاستشراق في نشأته برز كظاهرة أفرزتها المناكفة الحضارية بين الشرق والغرب وما صاحب ذلك من الاحتكاك و التماس الثقافي بين العالمين الشرقي و الغربي،كما اتخذ الإستشراق بدايات فردية قبل أن يتجه إلى تنظيم صفوفه ومأسسة نشاطه ضمن الجهود الاستعمارية والحملة الموجهة على الإسلام والمسلمين في القرنين السابقين، ما يقودنا إلى تحليل أهداف الإستشراق.

لإعادة رسم الخريطة السياسيّة والاقتصاديّة للعالم الإسلامي بعد 11 سبتمبر 2001؛وهي امتداد للاستشراق القديم فيصوره المتجددة،ينظر :شيريل بينارد وآخرون،بناء شبكات الاعتدال الإسلامي،ترجمة وتحقيق :ابراهيم عوض، ط 1، تنوير للنشر والاعلام2015م،ص 127.

[1] – أنور الجندي ، تاريخ الغزو الفكري والتعريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين ،ص 153.

المحاضرة الثالثة : أهداف الاستشراق

شهد السجال الحضاري والثقافي الفكري بين الشرق والغرب صنوفا شتى تجسدت في أنماط ومسارات متعددة، وقد أوغل التهجم الغربي على الإسلام و المسلمين متخذا سبيل الفكرة المغالطة والقلم المرافق للمدفع بغية تحقيق تمسيخ ثقافي يمكنه من إخضاع الشرق وتطويعه ،فتعددت أهدافه وتنوعت بتنوع مجالات الصراع وميادينه.

علاقة الاستشراق بالتنصير

في مدارستنا للظاهرة الإستشراقية من حيث المفهوم والنشأة وجدنا أن حركة الإستشراق بدأت منذ انطلاق التبشير الديني المسيحي من أوروبا، عندما ظهرت أولى ترجمات القرآن الكريم والتي قام بها أحد الرهبان وهو بطرس المبجل كما سبق ذكره.

وتأسيسا على هذا المخرج الفكري يمكننا أن نعتبر الهدف التنصيري كأحد أهم الدوافع والمقاصد التي وجهت الفعل الإستشراقي وحددت مضامينه .

يقول الشيخ حسن حبنكة الميداني في كتابه أجنحة المكر الثلاث عن الغزو الفكري وجنوده: " فأخذوا يحركون جيوش الغزو الفكري من كل مكان، ويوجهونها شطر بلاد المسلمين، ليهدموا الوحدة الفكرية الناظمة لهم في سلك وحدة جماعة المسلمين، ولتكون مُحدَثات الأفكار التي تدخل إلى أفرادهم بمثابة جيش سحري غير مرئي، يمعن في صفوف المسلمين قتلاً وتشريداً،

ويمعن في قلاعهم هدماً وتخريباً، دون أن يصيبه سهم واحدٌ في هذه الحرب الخبيثة، التي يغفل عنها السواد الأعظم من الذين توجّه ضدّهم هذه الحرب "[1].

ومن خلال هذا الطرح يتضح أن التدافع والصراع الديني كان ولايزال من أهم وأبرز الأهداف لا سيما بعد أن تأكد للغرب عدم القدرة على السيطرة على المسلمين عسكريا، وهي حقيقة ماثلة أمامنا وحاضرة في عصرنا الحالي.

فيما يعتبر مصطفى السباعي أن الدافع الديني أحد أهم وأبرز أهداف الاستشراق ،وذلك بالنظر إلى بداية الإستشراق تاريخيا والتي بدأت بالرهبان والنشاط الكنسي، فقد " بدأ بالرهبان – كما رأينا – واستمر كذلك حتى عصرنا الحاضر – كما سنرى – وهؤلاء كان يهُمُّهُمْ أنْ يطعنوا في الإسلام ويُشَوِّهُوا محاسنة ويُحَرِّفُوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدِّينِيَّةِ أنَّ الإسلام – وقد كان يومئذٍ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيِّين – دين لا يستحق الانتشار، وأنَّ المسلمين قوم هُمَّجٌ لصوص وسفَّاكُو دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية، ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي" [2].

---

[1]–حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، ط8، دار القلم، سوريا،1420هـ–2000م، ج1، ص 26.

[2]–مصطفى السباعي، الإستشراق والمستشرقون ،مرجع سابق ، ص 20.

وعليه فقد لعب النتاج الإستشراقي بمضامينه المعادية للدين الإسلامي والطاعنة في مصدريته وصدقيته دورا كبيرا في تعزيز الصورة النمطية لدى الغرب وشعوبه في إطار الحملة العدائية على المسلمين ومقدساتهم.

فيما تمثلت غاية الهدف الديني عبر معرفة الإسلام لمحاربته وتشويهه وإبعاد النصارى عنه" وقد اتخذ النصارى المعرفة بالإسلام وسيلة لحملات التنصير التي انطلقت إلى البلاد الإسلامية، وكان هدفها الأول تنفير النصارى من الإسلام " [1].

كما اتجهت أهداف الإستشراق–الخالية من المعرفة النظرية الموضوعية–إلى التركيز على مصالح الغرب الاستراتيجية تجاه العدو الشرقي متمثلا في الإسلام والمسلمين بهدف تنصيرهم وإخراجهم عن دينهم.

يقول يوهاك فيوك : " لقد كانت فكرة التبشير هي الواقع الحقيقي وراء انشغال الكنيسة بترجمة القرآن واللغة العربية " [2].

---

[1]– أحمد غراب، رؤية إسلامية للإستشراق،مرجع سابق ، ص 50.

[2]– يوهان فوك، تاريخ حركة الإستشراق ترجمة: عمر لطفي العالم، ط 2، دار المدار الإسلامي، بيروت – لبنان ،2000م، ص 16.

وقد تعددت أساليب المستشرقين في سبيل تحقيق الهدف التنصيري بإخراج المسلمين من دينهم ،ومن هذه الوسائل تشويه الإسلام في نفوس المسلمين وإدخال الخرافات والأباطيل في علوم الدين والملة .

ومثال ذلك الجهد البالغ الذي بذله المستشرق الفرنسي " ماسينيون "[1]في ميدان التصوف الإسلامي عبر دراسته العميقة حول الحلاج ، وهي دراسة حاولت التفرد بهذه الشخصية العظيمة في تاريخ الفكر الإسلامي واتجه بها إلى مضمار الانحراف العقدي في إطار إفساد عقيدة المسلمين .

في واقع الأمر أن ماسينيون "ما كان يعنى بالحلاج قدر عنايته بتنفيذ مخطط استعماري أحكم صنعه " [2].

فيما أقبل المستشرقون على دراسة اللغة العربية والتخصص في علومها من نحو وصرف وأدب وبلاغة، ليتمكنوا من اللغة " ثم نظروا بعد ذلك في علوم الدين الإسلامي من عقيدة

---

[1] – كان " ماسينيون " مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون الشمال الإفريقي والراعي الروحي للجمعيات التبشيرية في مصر وخدم الجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الأولى ،ينظر : عبد العظيم محمود الديب، المستشرقون والتراث ،ط 3، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة– مصر،1413 هـ – 1992م، ص 18 .

[2] – المرجع نفسه،ص 18 .

وشريعة؛ لاتخاذ هذه الدراسة وسيلة لتلفيق الأباطيل للتشكيك في حقائق الإسلام، وصرْف المسلمين عن دينهم الذي يهديهم إلى طريق التقدم والعزة" [1].

كما امتدت جغرافية الاستشراق الدينية بعمل المستشرقون عبر دراساتهم الاستشراقية منطلقين بدوافع دينية تبشيرية نصرانية أو يهودية، وأحياناً كانت هناك وراء تلك الدراسات دوافع استعمارية مناهضة للإسلام. فعمدوا إلى تجاوز الثغور الجغرافية الأرضية، وأحلّوا محلها الحدود الجغرافية الدينية، وحصروا الرقعة الجغرافية للاستشراق في حدود الأقطار الإسلامية أينما وجد.

على الرغم من أن وجود مفردة " الشرق" تتحدد بالرقعة الجغرافية، إلا أنّ التأكيد على قيد " الإسلامية " يشعر بأنه حيثما وجد هذا الدين وكان الهدف هو التعرف على الإسلام، كان هناك ما يدعو إلى وجود النشاط الاستشراقي عبر رواده .

كما تتحدد الميدانين الأكثر أهمية في بدء الدرس المعرفي للإستشراق، وهما اللغة العربية والعقيدة الإسلامية باعتبارهما مناط البحث ومقصد التهجم وهدف الحملة الدينية .

لنخلص إلى أن الهدف الديني للظاهرة الإستشراقية تجلى في محاولة المستشرقين التشكيك في مصدرية القران الكريم والسنة النبوية المشرفة، مع اتجاههم لإنكار نبوة الرسول صلى الله

---

[1]– عبد المنعم محمد حسنين ، الإستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، ،مرجع سابق، ص 81.

عليه وسلم، و محاولتهم النيل من اللغة العربية عبر التحقير من شأنها ووصمها بالتخلف والجمود، و لعل هذا هو أخطر هدف –حسب رأينا – لما يرومه من محاولات تنصير المسلمين وإبعادهم عن دينهم .

- ***الهدف الإستعماري :***

يمثل التداخل بين الاستشراق والاستعمار واقعا تاريخيا مشهودا، ذلك أن الاستشراق مثل أهم البنوك المعلوماتية للحملة الاستعمارية على الشرق الإسلامي، فقد شكلت كتابات المستشرقين ودراساتهم للفرد المسلم وطبيعة عقيدته ودينه مع موروثه الثقافي والديني مشاتل زرع فيها الاستعمار مكامن الضعف وجوانب القصور ليسهل عمله ويبسط طريقه نحو إخضاع البلاد المستعمرة .

كما عمد إلى توظيف واعتماد أساليب تتجاوز التدخل العسكري لتشمل الأبحاث والدراسات الإستشراقية كخارطة طريق نحو هدفه الاستعماري.

تجسد ذلك في الواقع التاريخي بعد الحملة الفرنسية على مصر سنة 798 م، حين "جاء نابليون (Napoleon Bonaperte) إلى مصر، وحمل معه عددا كبيرا من العلماء، كما حمل معه مطبعة عربية ساعدت هؤلاء العلماء في القيام بأبحاث متعددة وطبعها ونشرها " [1]

فقد رافق الغزو الاستعماري أسلوب جديد يجمع بين السيف والقلم الإستشراقي وهي مرحلة جديدة ونمط متحور من أساليب الهيمنة الغربية على الشرق الإسلامي ومجتمعاته.

وقد تجددت محاولات الغزو والحملات الغربية على الشرق الإسلامي وتنوعت في طرائقها وأدواتها الاستعماريون في سبيل ذلك " اتَّجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات؛ ليتعرَّفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموه، ولما تمَّ لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث، وما عندنا من عقيدة وقِيَمٍ إنسانية، فنفقد الثقة بأنفسنا، ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية والمبادئ العقائدية، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعاً لا تقوم لنا من بعده قائمة"[2] .

---

[1]– علي حسن الخربوطلي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة–مصر، 1988م، ص27.

[2]– مصطفى السباعي ، الإستشراق والمستشرقون ،مرجع سابق، ص 22.

وواقع الأمر أن هذا الهدف الاستعماري مستمر وحاضر بقوة في منحى الفعل الاستعماري بما يحوزه من منتج استشراقي تنوع بين الكتابات والدراسات الأكاديمية وأعمال الملتقيات والندوات الفكرية .

كما يرجع السبب في اعتماد الحملة الاستعمارية للمنتج الإستشراقي إلى فشل الحملات العسكرية السابقة في الحملات الصليبية الأولى ،بما يوجه النظر نحو مدارسة شخصية الشرق وعوامل قوته من أجل تجاوزها وتعميق نقاط الضعف فيها حتى يمكن من احتلاله وتسهيل نهبه وسلب مقدراته.

واستمر هذا التيار إلى أن ظهرت المرحلة الجديدة المقترنة بالتوسع الاستعماري، عندئذ صار من مهام الحكومات تسخير عدد كبير من الباحثين ليكتبوا عن الإسلام والمسلمين باللغات الأوروبية.

وهو ما يكشف حقيقة المستشرقين الذين كانوا رأس الحربة–إن جاز التعبير–في استعمار الدول الإسلامية ونهب ثرواتها.

من هذا المنطلق عمل المستشرقون على إنتاج خطاب يرغب في الاحتلال الأجنبي باعتباره حامل لواء التقدم والازدهار للبلاد التي سيدخلها، وأن هذا الصنيع الاستعماري لصالح الحضارة الإنسانية، وهو خطاب متعصب للغرب المتفوق–بزعمهم– على الشرق عسكريا وفكريا وثقافيا.

وقصارى القول أن مدارسة الهدف الاستشراقي في صلته بالاحتلال الأجنبي يوجه الاتهام إلى المستشرقين باعتبارهم جزءا لا يتجزأ من الحملات العسكرية والاستعمارية، بل و مساهمين فيها بأخبث الطرق وأحقر المسالك تحت رداء العلم والمعرفة والتعارف الحضاري بين المجتمعات.

لذلك يمكن وصم هذه الدراسات الإستشراقية بالمضللة في مجمل أهدافها وتوظيفاتها ،فقد جاءت لتحقيق الهدف الاستعماري وتوجهه العدائي، كما أن:" ارتباط الاستشراق بالاستعمار وتبعيته له جعلت الاستشراق يواصل جهوده في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، ويستعمل كل الأسلحة في حربه؛ لأن هذا الدين الحنيف هو السدّ المنيع الذي يقف في وجه الاستعمار والعبودية لغير الله" [1].

ونخلص إلى أن الاستعمار عمل على تعزيز موقف الاستشراق بغية الاستفادة منه بقدر كبير، كما استطاع الاستعمار أن يجند طائفة كبيرة من المستشرقين لخدمة أغراضه، وتمكين سلطانه ، وتحقيق أهدافه في البلدان المستعمرة .

- ***الهدف العلمي المعرفي :***

[1]– عبد المنعم محمد حسنين ، الإستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، مرجع سابق، ص 81.

يشير الهدف العلمي إلى الدراسات التي اتخذت طابعا علميا ومعرفيا خالصا، وذلك في إطار البحث والتمحيص للتراث الإسلامي بهدف نقل جذوة النهضة من الحضارة الإسلامية المتقدة .

فقد شكل الاستشراق عاملا مهما في نقل خلاصة الحضارة الإسلامية لأوروبا خلال عصور النهضة الإسلامية، فأسهم في ظهور النهضة الأوربية وتطورها، يقول مازن مطبقاني: "لم تكن أوربا لتنهض نهضتها دون أن تأخذ بأسباب ذلك وهو دراسة منجزات الحضارة الإسلامية في جميع المجالات العلمية، فقد رأى زعماء أوروبا أنه إذا كانت أوروبا تريد النهوض الحضاري والعلمي فعليها بالتوجه إلى بواطن العلم تدرس لغاته وآدابه وحضارته "[1].

أي أن الهدف المعرفي برز في إطار محاولات النهضة الأوربية التي سعت للانطلاق من رصيد الحضارة الإسلامية ،" فمن المعروف أن العصر الوسيط شهد للعرب أنهم ورثة العلوم القديمة وهو مصطلح كان يطلق على الطب والفلك والفلسفة والرياضيات وان هؤلاء العرب شدوا ببدائعهم أنظار الزائرين والمتتلمذين "[2] .

فيما يذهب بعض الدارسين للظاهرة الإستشراقية إلى القول بوجود نفر من المستشرقين ممن انتهجوا الموضوعية والحيادية العلمية في مسارهم الإستشراقي.

---

[1]– مازن مطبقاني، الاستشراق والإتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص 11.

[2]–يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ، مرجع سابق، ص 15 .

وقد نجد عدد قليل من المستشرقين طلبوا علوم الشرق والتعرف على حضارته طلبا بالمعرفة، وهذا عدد قليل إذا قيس بأعداد المستشرقين الآخرين، وهذا النوع من المستشرقين يتميز بالروح العلمية النزيهة، والدقة في الأحكام العلمية والإنصاف فيها، ولا نعدم أن نجد بينهما من شهد للحضارة العربية بدورها الرائد في الحضارة الأوربية المعاصرة، وخاصة في العلوم الرياضية والتجريبية، وكثير منهم كتب مؤلفاته وبحوثه حول شخصيات إسلامية كانت رائدة في مجالات العلم المتعددة.

ما يعني أن المستشرقين اتجهوا إلى بواطن الشرق المسلم واقبلوا على دراسة لغاته وآدابه وحضارته وتبحروا فيه جيدا.

وكان هدفهم إبراز الكتب التي لا تخدم نهضة عقلية للمسلمين بل تسهم في تخديرهم فكريا ،كما فعلوا عبر الترويج لكتاب " الف ليلة وليلة " وهي مجموعة من القصص الخرافية ، يقول الدكتور عبد العظيم عن هذا الكتاب وترويجهم له : " ومن يتتبع طبعاته المتوالية والدراسات والبحوث التي أجريت بشأنه يدرك أنهم جعلوه لنا زاداً واتخذوه – هم – مصدر الدراسات للمجتمع الإسلامي في عصوره الناهضة الواعدة ، فجعلوا ما عبر ما في قصصه من خرافات هي الصورة الحقيقية للمجتمع الإسلامي " . [1]

[1] – عبد العظيم محمود الديب، المستشرقون والتراث، مرجع سابق، ص19.

وبطريقة أخرى انتهجوا مسلك التضليل الفكري عبر إنشاء مدونات معرفية وفكرية وتضمينها نماذج خاطئة ومضللة عن الإسلام والمسلين وتعميق الهوة بين المعرفة الصحيحة والحقيقة الموضوعية وبين العقل المتلقي لهذا المنتج الفكري والعلمي المسموم، ومثال ذلك أنهم أنشأوا "دائرة المعارف الإسلامية وأصدروها بعدة لغات، واستطاعوا أن يبثوا فيها ما شاءوا من سمومهم وأفكارها، ورغم ذلك مع الأسف فإن هذه الموسوعة تعتبر مرجعا هاما لكثير من مثقفي الأمة العربية والإسلامية " [1]

يمكن القول أن بحوثهم ودراساتهم كانت فقط من أجل خدمة مجتمعهم الغربي ووفق أدوارهم الوظيفية حتى وان اصطبغت بالطابع العلمي والمعرفي واستترت برداءه، فسرعان ما تتكشف عبر بعدها عن الموضوعية وإغراقها في التعصب والبعد عن الحقيقة العلمية والواقعية.

لكن غالبية المستشرقين سلكوا سبيل التضليل ودس السم في العسل عبر اختراق المنظومة الفكرية والتراثية للعالم الإسلامي، ومن وسائلهم في ذلك التأليف وإصدار المجلات والكتب العلمية وترجمتها.

- **محاولات جادّة لفهم الإسلام (نماذج)**

مثال ذلك ما ذهب إليه مصطفى السباعي حين قال بوجود هذا الصنف –على قلته–ضمن رجالات الاستشراق، حيث أن هناك " نفر قليل جِدًّا أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب

[1]– أنور الجندي، الإسلام في وجه التغريب، ط1، مركز الإعلام العربي، الجيزة–مصر، 1983م، ص 153.

الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأً في فهم الإسلام وتراثه؛ لأنهم لم يكونوا يتعمَّدون الدَسَّ والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقوب إلى الحق وإلى المنهج العملي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة إلى المُسْتَشْرِقِينَ، بل إنَّ منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته، على أنَّ هؤلاء لا يوجدون إلاَّ حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص؛ لأنَّ أبحاثهم المُجَرَّدة عن الهوى، لا تلقى رواجاً، لا عند رجال الدين، ولا عند رجال السياسة، ولا عند عامة الباحثين، ومن ثمة فهي لا تَدُرُّ عليهم ربحاً ولا مالاً؛ ولهذا ندر وجود هذه الفئة في أوساط المُسْتَشْرِقِينَ[1]".

أفضت المدارسة الجادة للإسلام باهتداء بعض رجالات الاستشراق للاسلام وإعلان إسلامهم بل والمضي لاحقا في الدفاع عنه وبيان زيف مخالفيه، كما فعل المستشرق الفرنسي «دينيه» الذي عاش في الجزائر، فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه، وتَسَمَّى باسم «ناصر الدين دينيه» وألَّف مع عالم جزائري كتاباً عن سيرة الرسول – صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وله كتاب " أشعة خاصة بنور الإسلام " بَيَّنَ فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله، وقد توفي هذا المستشرق المسلم في فرنسا، ونقل جثمانه إلى الجزائر ودفن بها[2].

---

[1]– مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ، مرجع سابق، ص 25.

[2]– مصطفى السباعي، الإستشراق والمستشرقون، مرجع سابق، ص 33.

لكن مالك بن نبي –وهو الخبير في الظاهرة الاستشراقية–يعطي تفسيرا أكثر إقناعا وأصدق واقعية في تحليله لهذا الصنف من المستشرقين ممن صنفوا كباحثين موضوعين ومنصفين.

ولا شك أن المستشرقين المادحين مثل رينو الذي ترجم جغرافية أبي الفداء في أواسط القرن الماضي ومثل دوزي الذي بعث قلمه قرون الأنوار العربية في إسبانيا ومثل سيدييو الذي جاهد جهاد الأبطال طول حياته من أجل أن يحقق للفلكي والمهندس العربي أبي الوفاء لقب المكتشف لما يسمى في علم الهيأة (القاعدة الثانية لحركة القمر)، لاشك أن هؤلاء العلماء كتبوا لنصرة الحقيقة العلمية وللتاريخ وكل ذلك من أجل مجتمعهم الغربي[1].

ومنهم من يتحول إلى داعية ومفكر يدافع عن حمى الإسلام وديارة، ومن هؤلاء المستشرقين الذين كان هذا شأنهم المفكر محمد أسد صاحب كتاب "الإسلام على مفترق الطرق"، وتوماس أرنولد صاحب كتاب "الدعوة إلى الإسلام" والذي ركز فيه على التسامح الديني في الإسلام والتزام المسلمين بهذا المبدأ عبر التاريخ، إلا أنه تعرض لأكبر هجمة استشراقية واتهموه بأنه لم يعتمد في كتابه على الأدلة العلمية، وإنما على عاطفته تجاه المسلمين، رغم أنه لم يورد حادثة من التاريخ إلا ووثقها من مصادرها ومراجعها العلمية.[2] .

[1]– مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مصدر سابق ، ص 07.

[2] – فالح الصغير ، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية ، ص 20.

ومن هؤلاء المستشرقين أيضًا المستشرق الفرنسي "دينيه" الذي أسلم في الجزائر وغيّر اسمه إلى "ناصرالدين دينيه" وألف مع كاتب جزائري كتابًا في السيرة النبوية، وله كتاب "أشعة خاصة بنور الإسلام"[1] الذي بيّن فيه حقد الغرب وتحاملهم على الرسول صلى الله عليه وسلم.

ذلك أن طريق الاستشراق ينتهي بالاعتناق حتما، إلا إذا خشي المستشرق ردود فعل المحيطين، أو كان أسير "خوف داخلي" من الإقبال على هذه الخطوة.

- **فئات المستشرقين**

نجد بين جحافل المستشرقين من وصل به بحثه النزيه وروحه العلمية إلى اكتشاف الحقيقة فآمن به وأعلنها، وقد يصل به الأمر في نهاية المطاف إلى أن يعلن إسلامه، ويعلم المتخصصون في هذا اللون من الدراسات أن هناك عدد غير قليل من المستشرقين يتمتعون بهذه الروح العلمية النزيهة، وقد تحولوا بعد إسلامهم إلى جنود مدافعين عن الإسلام وقضاياه، وعن العالم الإسلامي ومشكلاته، غير أن هناك أمور يشترك فيه جميع المستشرقين بما فيهم هذا النمط الأخير، فهم جميعا قد يقعون في أخطاء علمية بسبب جهلهم بأساليب اللغة العربية وطرائف التعبير فيها، ويرتبون على فههم الخاطئ نتائح وأحكاما خاطئة تبتعد بهم كثيرا عن منطق الصواب والإنصاف، وقد يكون الفارق بين هذا

[1] – عبد الرحمن حبنكة الميداني ،أجنحة المكر الثلاثة ، ص 158.

النمط الأخير وغيرهم هو توفر حسن النية عند النمط الأخير الذي تميز بالإنصاف والنزاهة وتوفر سوء القصد وعدم النزاهة عند غيرهم. [1].

يصنف مالك بن نبي عبر كتابه القيم إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث المستشرقين إلى قسمين أو طبقتين، الطبقة الأولى مقسمة باعتبار زمن بروز المستشرقين ووصل بهم إلى جولدتسهير، أما القسم الثاني–وفق بن نبي–فجعله باعتبار الاتجاه الفكري الذي سلكوه في مدارستهم للحضارة الإسلامية ما بين مادح وقادح، وفي ذلك يقول:" ثم علينا أن نصنف أسماءهم في شبه ما يسمى ((طبقات)) على صنفين:

أ– من حيث الزمن: طبقة القدماء مثل جربر دوريياك والقديس توماس الاكويني وطبقة المحدثين مثل كاره دوقو جولدتسهير.

ب– من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين لكتابتهم: فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها"[2].

غير أن هناك فئة قليلة ونادرة جدًا من هؤلاء الغربيين الذين يقبلون على دراسة الإسلام دراسة حقيقية لفهمه والاطلاع عليه، مجردين من الدوافع والأغراض التي سبق ذكرها، وهؤلاء يعدون من الصادقين في أبحاثهم ودراساتهم، إلا أنهم غير مدعومين من الدول

---

[1]– محمد السيد الجليند ،الاستشراق والتبشير، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ، ص 24.

[2]– مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مصدر سابق، ص 05.

الغربية، ولا من المؤسسات الاستشراقية التي تأسست على أساس تشويه الإسلام وتحريف أحكامه عند الناس.

من أجل ذلك لا يكون لهم صيت قوي وشهرة شائعة في الأوساط العلمية والسياسية والدولية. وربما يجد هذا القسم من المستشرقين مضايقات وعقوبات من قبل حكوماتهم لأنهم لا يمثلون وجهة نظرهم ولا يخدمون مصالحهم، ومن هؤلاء المستشرقين من يعتنق الإسلام بعد أن يدرس الإسلام دراسة عميقة ومجردة[1] .

وفي مجمل أهداف الظاهرة الإستشراقية يمكن حصر أهم أهداف الإستشراق والمستشرقين بأنها تتمحور حول حماية الإنسان الغربي من أن يرى نور الإسلام فيؤمن به ويحمل رايته أولاً.

ثم معرفة الشرق ودراسة أرضه ومياهه وطقسه وجغرافيته ورجاله وتراثه قصداً إلى الوصول إليه ثانيا [2].

وواقع الأمر أن غالبية المستشرقين يهدف إلى مدارسة الموروث العلمي الإسلامي،بغية بتره عن سياقه ومضامينه وأنساقه ،ووسيلتهم في ذلك أدوات منهجية مغايرة لطبيعة مسائله وموضوعاته .

[1] – فالح الصغير ، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية ، ص 194.

[2]– عبدالعظيم محمود الديب، المستشرقون والتراث ،مرجع سابق، ص38.

المحاضرة الرابعة: علاقة الاستشراق بالاستعمار

اتسمت العلاقة بين الشرق والغرب بالمناكفة الحضارية ردحا من الزمن ، وبسبب المناهضة للاستعمار اتجهت العلاقة بينهما الى الخصومة والمناكفة الفكرية ، فهي علاقة بين مشروعين متقابلين احتلال واستقلال بما يمثل مظهرا للتوظيف بين القوة الناعمة والخشنة في سبيل تحقيق أهدافها.

يعلق المفكر الجزائري مالك بن نبي على هذه الأساليب قائلا:" وحتى أكون واضحا فإن ماسنيون يدرك جيدا أن الاستعمار يجب أن يكون له وجهان: وجه المحضر الذي يقدم نفسه بهذه الصفة للفرنسي الذي يجب انتزاع صوته لصالح (العمل المحضر) Oeuvre) (civilisatriceوالنزعة (المحررة) للاستعمار ثم وجه المضطهد الذي يتعين إظهاره لأهالي المستعمرات (الأنديجين) لإخضاعهم وإذلالهم "[1].

هذا التقرير بحقيقة أمثال المستشرق ماسينيون يؤكده أبو القاسم سعد الله حين يورد المناكفات الفكرية بين ابن باديس وهذا المستشرق العميل للاستعمار الفرنسي، حيث يذكر في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي مانصه:" وكان رد عبد الحميد بن باديس على لويس ماسينيون جزءا من هذه الردود، فقد ادعى هذا المستشرق المعروف أثناء سفره إلى القاهرة لحضور اجتماع مجمع اللغة العربية، بأن (اللغة العربية ليست غريبة عنا –الفرنسيين –بل هي جزء من تراثنا القومي). فرد

[1]–مالك بن نبي ،العفن ، مصدر سابق ،ج1،ص 55.

عليه ابن باديس قائلا: إن ماسينيون لو أراد حقا خدمة العربية لنصح حكومته الفرنسية بالتوقف عن الإساءة إليها في الجزائر حيث هي محاربة وتعليمها مضطهد، ولطالب حكومته بجعل اللغة العربية لغة رسمية، ولدعا إلى حرية تعليمها. واستغرب ابن باديس من قول ماسينيون إن العربية من تراث فرنسا القومي، مؤكدا له أن ذلك مجرد مجاملة منه للمشارقة، وفيهم تلاميذه من أمثال طه حسين وزكي مبارك"[1].

ما يكشف وعي ابن باديس رحمه الله بخطورة ماسينيون والفعل الإستشراقي في مضماره الثقافي الداعم للمسخ الهوياتي للبلاد المستعمرة، كما يؤكد غلواء الفكر الإستشراقي الداعم للاحتلال والمسهل لمحاولات تغيير الهويات في البلاد المحتلة وإلحاقها بركاب الاستعمار ووسيلتهم في ذلك محاربة لغات الشعوب وقسمات هويتهم الأصيلة.

إن الاستشراق الذي هو أحد مظاهر الغزو الثقافي الفرنسي بالجزائر مثل تحديا هاما وخطيرا على الشخصية المسلمة عامة والجزائرية بخاصة، مايكشف الظاهرة الإستشراقية ومخرجاتها ضمن البيئة الإستشراقية والاستعمارية النشطة في الجزائر ابان الاحتلال الفرنسي الحديث .

وقد كان تأثير نتاج المستشرقين على الفكر الإسلامي بالغ الأثر ،منوها إلى خطورة هذا الوافد القديم المتجدد على الشخصية الإسلامية وحضارتها .

[1]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج08، ص28.

ولكي ندرك هذا الأثر الإستشراقي على صورته الحقيقية في مجتمعنا الإسلامي، يجب أن نعيد هذا النوع من الاستشراق إلى مصادره التاريخية، فقد اكتشف: " أوروبا الفكر الإسلامي في مرحلتين من تاريخها: فكانت الأولى في مرحلة القرون الوسطى، والهدف منها اكتشاف هذا الفكر وترجمته من أجل إثراء ثقافتها بالطريقة التي أتاحت لها فعلًا الوصول إلى النهضة منذ أواخر القرن الخامس عشر "[1].

حيث يعتبر الاستشراق نسق من التواصل التاريخي بين أوربا والفكر الإسلامي بما حواه من نتاج وتراث قيمي، وهو ما مثل أساسا للنهضة الغربية .

لكن هذه الظاهرة الاستشراقية سرعان ما تمضي في مسارات خادمة للاستعمار وممهدة له، وهو ما يقودنا إلى استقراء التحدي الخطر على الفكر الإسلامي وحضارة المسلمين.

[1]– المصدر نفسه، ص 07.

كما مثل الاستشراق مرحلة متجددة من المناكفة الحضارية بين الشرق والغرب في إطار الفعل الإستشراقي و ظرفيته–الجديدة– في العصر الحديث ومرحلة الاستعمار للبلاد الإسلامية .

هذه الظرفية المرحلية يمكن وصفها بالاستعمارية :" وفي المرحلة العصرية والاستعمارية فإنها تكتشف الفكر الإسلامي مرة أخرى لا من أجل تعديل ثقافي بل من أجل تعديل سياسي، لوضع خططها السياسية مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الإسلامية من ناحية، ولتسيير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه هذه السياسات في البلاد الإسلامية لتسيطر على الشعوب الخاضعة فيها لسلطانها وربما انطبقت هذه المجهودات العلمية، في نفس أصحابها، على مجرد الاعتراف بفضل تلك الشعوب وبمساهمتها في تكوين الرصيد الحضاري الإنساني" [1].

وبناءا على ما سبق ذكره يتوجب النظر إلى الأصول الإستشراقية منذ أمد بعيد حيث يبعث الغرب يبعث بعوثه ومسترقيه إلى ديار الإسلام، نهلا من معينها في ظاهر الأمر، حيث العلم والمنطق والفلسفة وعلوم أخرى كثيرة مثل القرآن والحديث بغية الدفع إلى التشكيك في مصدريتها وصحة انتسابها .

وهو ما كان له بالغ الأثر على مسار الفكر الإسلامي الحديث وبعض رواده، لأنه:" من الواضح أن المستشرقين القدماء أثروا وربما لا يزالون يؤثرون على مجرى الأفكار في العالم الغربي دون أيما تأثير على أفكارنا، نحن معشر المسلمين، أن ما كتبوا كان قطعاً المحور

[1]– مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مصدر سابق ، ص 09.

الذي تحركت حوله الأفكار التي نشأت عنها حركة النهضة في أوروبا، بينما لا نرى لهم أي أثر فيما نسميه النهضة الإسلامية اليوم. فلنترك إذاً قضيتهم جانباً لمن تهمه دراسة التاريخ العام كما نترك أيضاً قضية المنتقدين على الحضارة الإسلامية المحدثين حتى ولو كان لهم بعض الأثر في تحريك أقلامنا أو كان لهم بعض الصيت في زمنهم وبلادهم مثلاً الأب لامانس، أنهم لا يدخلون في موضوع بحثنا لأن إنتاجهم، على فرض انه مس ثقافتنا إلى حد ما، إلا أنه لم يحرك ولم يوجه بصورة شاملة مجموعة أفكارنا "[1].

[1]– مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مصدر سابق ، ص 06.

المحاضرة الخامسة: مظاهر النشاط الاستشراقي

تخصص المستشرقون في مجالات الأنشطة المعرفية والتوجيهية العليا، منها: التعليم الجامعي، والمؤسسات العالمية لتوجيه التعليم والتثقيف، والوظائف الاستشارية العليا للدول الغربية، وتأليف وإصدار الكتب والموسوعات العلمية، وإصدار المجلات الثقافية، وعقد مؤتمرات وإلقاء محاضرات علمية، وعقد ندوات، ولقاءات حوار حول موضوعات يهم المستشرقين دس أفكارهم فيها، ونحو ذلك.

ومن العوامل التي تساعد الاستشراق في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته أن كثيرا من المثقفين من المسلمين أصبحوا يسايرون المستشرقين في كتاباتهم حول التراث الإسلامي والعربي.

فقد ظهرت كتابات عربية اتجهت إلى الحط من شأن العرب الجاهليين، ظنا منهم أن في هذا خدمة للإسلام،" فلقد رمى المستشرقون العرب بتهم مماثلة، فصوروا حياتهم في الجاهلية وكأنهم وحوش ضارية تعيش في أرض قفر ومكان جديب، فكانت قلوبهم أقفر من أرضهم، ومشاعرهم أكثر جدبا منها.. هكذا يتحدث المستشرقون عن الأمة العربية في جاهليتها؛ ليخلصوا إلى القول بأن الإسلام دين بداوة لا يصلح في أحكامه وتشريعاته إلا في تلك المناطق المتبدية

المتوحشة المقفرة، فهو –كما يزعمون –ليس الدين العالمي الذي يصلح عليه أمر الناس في البدو والحضر، وفي الحاضر والمستقبل " [1].

ذلك أن الإستشراق في حملته الجديدة خلف صدمة فكرية جديدة تلقاها الفكر الإسلامي والمجتمع المسلم، وهي صدمة حركت كيانه الفكري وأوغلت في تقطيع أوصاله الهوياتية بما أفرزت من ارتكاسات وبما خلفته من مسوخ فكرية.

لاشك أن الفكر الإسلامي في إطار تواصله مع الظاهرة الإستشراقية ،يتلقى صدمات حضارية فكرية أورثت نماذج متغربة و متقمصة شخصية الغرب باعتبارها تقدمية وتحضرا فقد:" أحدثت هذه الصدمة عند قبيل من المثقفين المسلمين، شبه شلل في جهاز حصانتهم الثقافية، حتى أدى بهم مركب النقص إلى أن ولوا مدبرين أمام الزحف الثقافي الغربي، وألقوا أسلحتهم في الميدان، كأنهم فلول جيش منهزم في اللحظة التي بدأ فيها الصراع الفكري يحتدم بين المجتمع الإسلامي والغرب، فأصبح هذا القبيل من المثقفين يبحث عن نجاته في التزي بالزي الغربي، وينتحل في أذواقه وسلوكه كل ما يتسم بالطابع الغربي حتى ولو كان هذا الطابع ليس إلاّ مظهراً لا شيء وراءه من القيم الحضارية الغربية الحقيقية "[2].

---

[1]– عبد المنعم محمد حسنين، الإستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته،، مرجع سابق ص 99.

[2]– مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مصدر سابق ،ص 10.

ولعل أبرز مثال ما حدث لطه حسين حين تعرض لما يعرف بقضية الشعر الجاهلي، حيث يذكر " ما وقع ذلك في العهد الذي نشر فيه طه حسين كتابه في الشعر ((الجاهلي)) على غرار مما تقتضيه مسلمة قدمها المستشرق مرجليوث قبل سنة من صدور كتاب طه حسين الذي أثار تلك الزوبعة "[1].

في إشارة إلى طه حسين في منحاه للشعر الجاهلي متأثرا ببعض المستشرقين وعلى رأسهم مرجليوث .

وبالحديث عن العلائق الإستشراقية المتشابكة وظيفيا مع الاحتلال، نجد أن الفعل الإستشراقي كان له كبير الحضور وعظيم النشاط إبان المرحلة الاستعمارية في البلاد الإسلامية المستعمرة ،ونذكر هنا على سبيل المثال –لا الحصر–الجزائر وهي المعايش لهذه الظاهرة الاستعمارية والاستشراقية في نفس الأدوار الوظيفية .

يذكر المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله أن النشاط الإستشراقي في الجزائر كان الممهد للغزو الفرنسي بما يكشف " علاقة هذا الاستشراق باحتلال الجزائر، وهو ما ظهر جليا منذ سنة 1830"[2].

---

[1]– مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مصدر سابق ،ص 06.

[2]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،مرجع سابق ،ج06، ص07.

حيث أسس الاستعمار الفرنسي إستشراقية "وكان زعيم هذه المدرسة بل زعيم الاستشراق الفرنسي في ذلك الوقت هو سيلفستر دي ساسي[1] De sacy"[2].

تلك العلاقة التي تربط الاستشراق بالاستعمار تبدت عبر " خطة الاستعمار في عالم الأفكار بما تقوم به على مبدأين: مبدأ الغموض ومبدأ الفاعلية، فالمبدأ الأول يقضي بألا يكشف النقاب عن وجهه في المعركة، إلا إذا لم تترك له الظروف حيلة، فهو دائمًا أو غالبًا يستخدم قناع القابلية للاستعمار، والمبدأ الثاني: ناتج عن المبدأ الأول في حيز التطبيق، إذ أن هدف الاستعمار لا يتعلق في الأساس بذات شخص معين ولكن بأفكار يريد تحطيمها أو كفها، حتى لا تؤدي مفعولها في توجيه الطاقات الاجتماعية في البلاد المستعمرة."[3].

- **مناهج المستشرقين في دراسة التراث الإسلامي**

---

[1]–سيلفستر دي ساسي De sacy الذي اعتبره بعضهم هو (أبو الاستشراق) و (منشئ علم الاستشراق في أوروبا). فقد بقي دي ساسي نصف قرن في خدمة الاستشراق، وتخرج على يديه تلاميذ من أنحاء فرنسا وأوروبا. وكان اهتمامه بالشرق قديما وحديثا.

ولد دي ساسي سنة 1757، وتعلم العربية والسريانية والكلدانية والعبرية منذ صغره. وقد عين مدرسا في مدرسة اللغات الشرقية الحية، وأصبح سنة 1824 مديرا لها. وعمل سنوات طويلة في وزارة الخارجية بدون أجر (1806، 1811 في عهد نابليون). وكان يترجم نشرات الجيش وبيانات نابليون بهدف إثارة المسلمين ضد روسيا الأرثوذكسية وكان وزيرا الخارجية والحربية يستشيرانه في كل ما يتعلق بالشرق. ومن جهة أخرى ترأس دي ساسي الجمعية الأسيوية منذ تأسيسها سنة1822 ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج06، ص07.

[2]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،مرجع سابق، ج06، ص07.

[3]–مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، إشراف: ندوة مالك بن نبي،ط3ندار الفكر ،دمشق ، 1408هـ–1988م، ص 16.

اتجه الغربيون إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة، وعادات، وأخلاق، وثروات، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموها، ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق اضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث، وما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية

فقد جند الاستعمار المستشرقين في سبيل تطويع البلاد المستعمرة ،وكانوا هم أخلص جنوده وأعظم أسلحته التي تخترق العقل المسلم المقاوم للاستعمار ،فانتهج الاستعمار خريطة احتواء للعقل الجمعي " وهي خريطة تجري عليها التعديلات الضرورية في كل يوم، يقوم بها رجال متخصصون مكلفون برصد الأفكار؛ إنه يرسم خططه الحربية ويعطي توجيهاته العملية على ضوء معرفة دقيقة لنفسية البلاد المستعمرة، معرفة تسوغ له تحديد العمل المناسب لمواجهة الوعي في تلك البلاد حسب مختلف مستوياته وطبقاته"[1].

هذا الاتجاه الناقم على الاستشراق وأدواره قد يخالف اتجاه آخر يرى في الفعل الاستشراقي بعض الإيجابية، فقد اعتبروا أن تمثلات الاستشراق اتخذت أشكالا متعددة في الثقافة واللغة والإعلام والسياسة وغيرها من ميادين الحياة، وهو ما كان له عظيم الأثر والفائدة بجمع علوم

[1]–مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مصدر سابق، ص 16.

وترتيبها وحسين طرق الوصول إلى مضامينها، وهذا الجهد الإستشراقي–بقصد أو بغير قصد– يمثل فائدة علمية ومعرفية متجردة عن سياقاتها العدائية.

ونسوق في ذلك مثالا شارحا بالمفكر الفلسطيني إدوارد سعيد ودراسته الممتازة حول الاستشراق[1]،حيث خلص إلى أن المستشرقون يبحثون عن الموارد الفكرية والثقافية والعلمية، فلما حققوا بعض التراث أصبحوا يشكلون الوساطة الفعلية بين المسلم وتراثه، وهو ما قد يعطي –بحسب إدوارد سعيد–صبغة إيجابية للظاهرة الإستشراقية.

كما اعتبر أن الاستشراق ليس مصدراً للإثراء المعرفي فحسب ، بل هو دوامة صراع سياسي ، واقتصادي ، واجتماعي بين شطري العالم – إن صح التعبير – الشرقي والغربي وهذا ما يظهر بجلاء في تعريف (ادوارد سعيد) للاستشراق ، إذ يقول : " الاستشراق أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يسمى (الشرق) ، وبين ما يسمى في معظم الأحيان (الغرب) ، هذا الأخير يخدمه مثل هذا التقسيم من أجل أضعاف الطرف الآخر (الشرق) وإضعافه بغية السيطرة عليه والتحكم به ، كما يتضح ذلك عند (ادوارد سعيد) في قوله : (الاستشراق أسلوباً غربياً للهيمنة على الشرق ، وإعادة بنائه ، والتسلط عليه) . [2]

[1]–نقصد بهذه الدراسة كتابه الشهير: "الإستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء".

[2] – الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ادوارد سعيد، ترجمة: د. محمد عناني،ص 45

ونحن نرفض مثيل هذا الموقف الفكري من إدوارد سعيد، مع وافر الاحترام لجهده الرائع في تحليل علم الاستشراق تحليلا علميا، فقد تم إتلاف كثيرا من المخطوطات والكتب القيمة وتمت سرقتها وحرقها وتهريبها، كما تم التلاعب بمضامين ما أنجز من المستشرقين.

بالمقابل يثمن الموقف الفكري القائل بوجود مستشرقين مادحين للحضارة الإسلامية وتراثها، معتبرا أن العقل المسلم لم يستفد من هذا الرصيد الإستشراقي كغنيمة معرفية وعلمية، فمن الواضح أن :" المستشرقين القدماء أثروا وربما لا يزالون يؤثرون على مجرى الأفكار في العالم الغربي دون أيما تأثير على أفكارنا، نحن معشر المسلمين، أن ما كتبوا كان قطعاً المحور الذي تحركت حوله الأفكار التي نشأت عنها حركة النهضة في أوروبا، بينما لا نرى لهم أي أثر فيما نسميه النهضة الإسلامية اليوم"[1].

حيث يمكن اعتبار بعض الكتابات الاستشراقية محورا للنهضة الأوربية الحديثة ،وهو رصيد يمكن للمسلمين الأخذ منه في إطار التأسيس لفعل نهضوي حضاري.

[1]– مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مصدر سابق ، ص 05.

ذلك أن المستشرقين المادحين للتراث الإسلامي والممجدين لماضي حضارتنا وكتاباتهم (مثل كتابات غوستاف لوبون[1])،يجب أن تقرأ وفق معادلة مقلوبة ،ونقصد بذلك أنها طعن وإن بدت مدحا، وهنا تتجلى عبقرية بن نبي الذي حاول إيضاح الخطر "التخديري" لهذه الكتابات .

غير أن المستشرقين بما هو مشهود عنهم من خيانة للأمانة العلمية وتعصب ضد الشرق وأهله ووصمه بالانحطاط والتخلف، تقرأ مجهوداتهم وتحقيقاتهم للمخطوط وما يسمونه تجميعا لعلوم الدين والملة والفكر بتبحث جاد يتحرى عدم السقوط في فخ القراءة وفق منظورهم وقالبهم الفكري.

وهو ما يفند فكرة " إيجابية الظاهرة الاستشراقية "التي ذهب إليها إدوارد سعيد في دراسته عن الاستشراق، التي تندرج ضمن التوجه المادح للاستشراق.

وفي ذلك يقول عبد العظيم الديب: "إنَ أكثر ما يلوكه المُسَبِحُون بحمد المُسْتَشْرِقِينَ، هو الإشادة بدقَّتهم وتجرُّدهم للبحث والعلم، وقدرتهم على التمحيص والتدقيق، وأنهم قادة هذا الميدان وفرسان هذا المجال، والمستشرقون أيضاً حرصوا كُلَّ الحرص على أنْ يُضْفُوا على أنفسهم هيبة العلم وقداسة محرابه، وأنْ يُخْفُوا تحت شارته وردائه كل (أغراضهم) و (أهوائهم). وأصبحت

[1]–مؤسس علم نفسية الجماهير ،ولد في منطقة النورماندي سنة 1841م،ومات في باريس عن عمر طويل سنة 1930م، كتب في العديد من المجالات والفروع العلمية ،من علم الطب في البداية إلى علم الفيزياء النظرية إلى علم الانتروبولوجيا والآثار ،وقد انتهى به المطاف اخيرا إلى علم الإجتماع النفسي ،ينظر :غوستاف لوبون،سيكولوجية الجماهير ،ترجمة :هاشم صالح ،ط 1، دار الساقي،بيروت ، 1991م،ص 14.

كلمات (الأكاديمي) (البحث العلمي) (المنهج) (حرية الرأي) (قيمة العمل) (الحيدة العلمية) ...فأصبحت هذه الشعارات درعاً سابغاً توارت تحته مكنونات الصدور وخفيات الضمائر وسموم الأحقاد"[1].

كما ينبغي أثناء مدارسة الظاهرة الاستشراقية الوقوف منها موقف المعايش للتجربة الاستشراقية بنتاجها الفكري وأهدافها الاستعمارية وخبايا صنائعها مشككين في نياتهم ومؤكدين على عدم براءتهم العلمية .

يتسق هذا الموقف الفكري مع ما ذهب إليه وائل حلاق في دراسته الموسومة ب "قصور الإستشراق "والتي صدرت سنة (2019)، حيث قدم المفكر الفلسطيني وائل حلاق نقدا متأخرا لإدوارد سعيد، معتبرا أنه أساء فهم الإستشراق، ولم يستطع أن يقرأ هذه النصوص خارج العالم الاستعماري، الذي أنتجت خلاله[2].

في حين كان عليه –كما يرى حلاق–أن يتنبه لضرورة تسكين هذا الإنتاج في بنى تحتية أعمق، عبر النظر لخطاب الاستشراق، ليس كانعكاس أو تبرير لمشروع استعماري، بل كانعكاس للمشروع الحداثي.

---

[1]– عبد العظيم الديب، المستشرقون والتراث،مرجع سابق، ص27.

[2]– وائل حلاق، قصور الإستشراق: منهج في نقد العلم الحداثي، ترجمة :عمرو عثمان، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ،2019 م ، ص 356.

وبالتالي يتبين لنا أن الإنتاج الاستشراقي، بكلا نوعيه، كان شراً على المجتمع الإسلامي، لأنه ركب في تطوره العقلي عقدة حرمان سواء في صورة المديح والإطراء التي حولت تأملاتنا عن واقعنا في الحاضر و أغمستنا في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا، أو في صورة التفنيد والإقلال من شأننا بحيث صيرتنا حماة الضيم عن مجتمع منهار، مجتمع ما بعد الموحدين، بينما كان من واجبنا أن نقف منه عن بصيرة طبعاً ولكن دون هوادة، لا نراعي في كل ذلك سوى مراعاة الحقيقة الإسلامية غير المستسلمة لأي ظرف في التاريخ، دون أن نسلم لغيرنا حق الاصداع بها والدفاع عنها "[1].

وبذلك فإن نتاج الظاهرة الإستشراقية ومخرجات المستشرقين –وان ادعى الموضوعية والبحث والتمحيص الجاد– فإنه لا يعدوا أن يكون جزءا من الحملات العسكرية الاستعمارية، وأدوارهم الوظيفية باعتبارهم مساهمين فيها أو ممهدين لها.

لنعبر –عبورا معرفيا–إلى موقف المفكر الفلسطيني وائل حلاق الذي دعا عبر كتابه قصور الاستشراق إلى مفهوم فلسفي جديد يعيد تقييم العلاقة الندية بين الاستشراق والعالم الشرقي ،يقول وائل حلاق :" يمكن للمستشرقين –ولاسيما أولئك الذين يمتلكون المهارات والأدوات سالفة الذكر منهم – أن يجبروا على تغيير الاتجاه وتطوير نظرية (فيلولوجية أو غيرها) لدراسة

[1]– مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مصدر سابق، ص 25.

موضوع اهتمامهم، ستفترض هذه النظرية ذاتاً تختلف عن تلك الذات التي أنتجت الاستشراق والحقول الأكاديمية الأخرى على مدار القرنين المنصرمين"[1].

حيث يؤكد على ضرورة الخروج من هذا الوضع المأزوم واغتنام الحقل الإستشراقي بوصفه يمتلك أدوات فيلولوجية متقنة وقادرة على الوصول إلى نصوص الآخر وأرشيفاته والتعامل معها، وهو ما يحقق الانتفاع بهذه الدراسات الأكاديمية على ما اعتورها في القرنين الماضيين.

[1]–وائل حلاق، قصور الإستشراق ،مرجع سابق، ص368.

المحاضرة السادسة :أدوات الاستشراق ووسائله

اتجه الفعل الاستشراقي إلى تأليف الكتب التي تطعن في الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم وعظماء المسلمين بطريقة صريحة، أو بطرق غامضة لا يفطن لها إلا الدارس المتخصص، وهي مملوءة بالدسّ وتشويه حقائق الإسلام، وإعطاء معلومات غير صحيحة، وانتشرت بعض هذه الكتب في المكتبات الإسلامية بصورة خطيرة مثل كتاب (دائرة المعارف الإسلامية) والموسوعة العربية الميسرة وكتاب (يقظة العرب) وكتاب (المنجد)، وغيرها .

وفي معظم هذه الكتب كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص أو ابتسارها أو في فهمها واستنباط المعاني منها[1].

ومن أمثلة ذلك الموسوعة الإسلامية التي أصدرها المستشرقون بعدة لغات، قد حُشد لها كبار المستشرقين، وأشدهم عداءً للإسلام،ودُسَّ فيها السم بالدسم، ونثرت فيها أباطيل كثيرة عن الإسلام والمسلمين، ومن المؤسف أنها مرجع لكثير من المثقفين من المسلمين، إذ يعتبرونها حجة فيما تورده من معارف حول قضايا إسلامية، وهي فيها غير نزيهة، لأن كتابها منحازون ضد معظم قضايا الإسلام والمسلمين [2].

وهذا يعني أنّ طريق البحث العلمي والجامعي الذي سلكه الكثير من المستشرقين لم يكن خالصًا وموضوعيًّا، وإنّما كان يشوبه ما هو سياسي واستعماري، فغالبًا ما شكّل طلب العلم

---

[1] – عبد الرحمن حبنكة الميداني ،أجنحة المكر الثلاثة ، ص 135.

[2] – المرجع نفسه ، ص 136.

والمعرفة قناعًا يخفي وراءه أهدافًا سياسية وتوسعية، إذ كان المستشرقون يعتمدون شتّى الحيل التجسسية قصد التسلل إلى قلب المجتمعات الإسلامية، كإتقان اللغة ومعرفة العادات والتقاليد والتظاهر بالدخول في الإسلام والاندماج الثقافي واتخاذ الأسماء العربية والإسلامية.

وفيها أيضاً كثير من التحريف في تفسير الوقائع التاريخية، وتعليل أحداثها.

ومن مظاهر تزييفهم ومغالطاتهم في الوقائع التاريخية التعميمات الفاسدة، إذ يأخذون الحوادث الفردية القليلة من حوادث التاريخ، ويتخذون منها قاعدة عامة شاملة يدينون بها كل الأفراد، ويعتبرونها صورة لكل تاريخ المسلمين، وهذا من التضليلات التي يرفضها أي باحث علمي، ولا يقبلها صغار العامة فضلاً عن المثقفين، فكيف بمن يدعون الأمانة العلمية، ويتظاهرون بالحرص عليها.

وغدت هذه الكتب مرجعاً للمبشرين، ولكل الدارسين من المسلمين في الجامعات الغربية، ولكل المستغربين من أبناء الشعوب الإسلامية.[1]

- إصدار المجلات المتخصصة حول الشعوب الشرقية وبلدانها وحضارتها:

مما يدل على هذا العامل وأثره في قوة الحركة الاستشراقية واستمرار المستشرقين، ما قاله " بارت :"نعترف شاكرين بأن المجتمع ممثلًا في الحكومات والمجالس النيابية يضع تحت تصرفنا

[1] – عبد الرحمن حبنكة الميداني ،المرجع السابق ، ص 136.

الإمكانات اللازمة لإجراء بحوث الاستشراق وللمحافظة على نشاطنا التعليمي في هذا المضمار[1].

كما عملوا على إنشاء الموسوعات العلمية الإسلامية، والشرقية بوجه عام، التي تتناول الشرقيات من جميع جوانب المعرفة، واتخاذها وسيلة لدس الأفكار الاستشراقية السامة التي يريدون دسها، وإقناع أجيال الشعوب الإسلامية بها.

والموسوعة الإسلامية التي أصدرها المستشرقون بعدة لغات، قد حُشد لها كبار المستشرقين، وأشدهم عداءً للإسلام،ودُسَّ فيها السم بالدسم، ونثرت فيها أباطيل كثيرة عن الإسلام والمسلمين، ومن المؤسف أنها مرجع لكثير من المثقفين من المسلمين، إذ يعتبرونها حجة فيما تورده من معارف حول قضايا إسلامية، وهي فيها غير نزيهة، لأن كتابها منحازون ضد معظم قضايا الإسلام والمسلمين[2].

- إصدار المجلاَّت الخاصَّة ببحوثهم حول الإسلام وبلاده وشعوب،وقد استطاعوا شراء عدد من الصحف المحليَّة في بلادنا، وقد جاء في كتاب "التبشير والاستعمار " للدكتورين عمر فروخ ومصطفى الخالدي وهو من أهم الوثائق التاريخية عن نشاط المُسْتَشْرِقِينَ والمُبَشِّرِينَ لخدمة الاستعمار ما يلي: " يعلن المبشِّرون أنهم استغلُّوا الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء

[1] – محمود حمدي زقزوق: الاستشراق ، ص 45.

[2] – عبد الرحمن حبنكة الميداني ،المرجع السابق ، ص 135.

المسيحية أكثر مِمَّا استطاعوا في أي بلد إسلامي آخر، لقد ظهرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف المصرية، إما مأجورة في أكثر الأحيان، أو بلا أجرة في أحوال نادرة "[1].

-أهم المجلات التي يصدرونها:-

أ – في عام 1787م أنشأ الفرنسيون جمعيَّة للمستشرقين ألحقوها بأخرى في عام 1820م، ثم أصدروا " المجلة الآسيوية."

ب – وفي لندن تألَّفت جمعيَّةٌ لتشجيع الدراسات الشرقية في عام 1823م، وقَبِلَ المَلِكُ أنْ يكون وليَّ أمرها، وأصدرت " مجلة الجمعية الآسيوية الملكية."

جـ – وفي عام ١٨٤٢م أنشأ الأمريكيُّون جمعيَّة ومجلة بإسم " الجمعية الشرقية الأمريكية " وفي العام نفسه أصدر المُسْتَشْرِقُونَ الألمان مجلة خاصة بهم، وكذلك فعل المُسْتَشْرِقُونَ في كل من النمسا وإيطاليا وروسيا.

د – ومن المجلاَّت التي أصدرها المُسْتَشْرِقُونَ الأمريكيون في هذا القرن "مجلة جمعيَّة الدراسات الشرقية " وكانت تصدر في مدينة جامبير Gambier بولاية Ohio ولها فروع في لندن وباريس وليبزج، وتورونتو في كندا، ولا يعرف إنْ كانت تصدر الآن، وطابعها

[1] –مصطفى السباعي ، كتاب الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ،ص 35.

العام على كل حال طابع الاستشراق. السياسي وإنْ كانت تعرض من وقت لآخر لبعض المشكلات الدِّينِيَّةِ، وخاصة في باب الكتب.

هـ – ويصدر المُسْتَشْرِقُونَ الأمريكيون في الوقت الحاضر، "مجلة شؤون الشرق الأوسط ."وكذلك "مجلة الشرق الأوسط" ، وطابعها على العموم طابع الاستشراق السياسي كذلك.

ووأخطر المجلاَّت التي يصدرها المُسْتَشْرِقُونَ الأمريكيون في الوقت الحاضر هي مجلة " العالم الإسلامي The Muslim World " أنشأها صمويل زويمر S. Zweimer في سنة 1911م، وتصدر الآن من هارتفورد Hartford بأمريكا ورئيس تحريرها كنيث كراج K. Graggوطابع هذه المجلَّة تبشيري سافر.

ز – وللمستشرقين الفرنسيين مجلَّة شبيهة بمجلة "العالم الإسلامي " في روحها وإتجاهها العدائي التبشيري وإسمها أيضاً.[1] Le Monde Musulman

- اعتماد بعض الهيئات العالمية على المستشرقين للكتابة عن الإسلام وتاريخه وقضايا الأمة الإسلامية، ونحو ذلك مما يتصل بالرسول –صلى الله عليه وسلم– والقرآن الكريم والعلوم الإسلامية وللمثال على ذلك فإن (اليونسكو) وهي هيئة دولية تشترك فيها الدول الإسلامية استكتبت في موسوعتها عن الجنس البشري فيما يخص الإسلام وتاريخه ونبيه وحملته نفرًا من المستشرقين[2].

---

[1] –مصطفى السباعي ، كتاب الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، المرجع السابق ،ص 37.

[2] – محمود حمدي زقزوق: الاستشراق ، المرجع السابق ،ص 115.

وقد أثارت كتاباتهم حفيظة المسلمين وكتب بعضهم احتجاجًا على تلك الهيئة التي لم تحترم –على الأقل– عضوية الدول الإسلامية فيها، وجاءت كتابات المستشرقين في موسعتها تطفح بالتهم والتهجم على نبي الإسلام، ومما يؤكد استمرار المستشرقين في اجترار الروح الصليبية، ويؤكد من جهة أخرى استمرار الاعتماد على خطابهم عن الإسلام والمسلمين [1].

- **إلقاء المحاضرات في الجامعات:**

اتجه الفعل الاستشراقي عبر رواده الى إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات والأندية العلمية، ومن المؤسف أن أشدهم خطراً وعداءً للإسلام يستطيعون تحريك الأيدي الخفية لاستدعائهم إلى الجامعات العربية والإسلامية، لإلقاء المحاضرات التي يتحدثون فيها عن الإسلام، ويدسون فيها ما يستطيعون دسه من أفكار، رغبة في بثها والإقناع بها.[2]

- **الكراسي العلمية :**

وقد تفرغ منهم مجموعات متعددة لأداء المهمات الاستشراقية ،عبر تأسيس كراسي الدراسات الإسلامية العربية والشرقية بوجه عام في الجامعات الغربية، واتخاذها بؤرة لاصطياد أبناء الشعوب الإسلامية، والتأثير عليهم فكرياً وسلوكياً ونفسياً[3] .

---

[1] – المرجع نفسه، ص ،116.

[2] – عبد الرحمن حبنكة الميداني ،أجنحة المكر الثلاثة ، المرجع السابق ص 136.

[3] – المرجع نفسه ، ص 134.

كما عمد الفعل الاستشراقي إلى تأسيس الجامعات العلمية في بلدان العالم الإسلامي خاصة وبلدان الشرق عامة، لتخريج أجيال منسلخة من إسلامها، ومستعدة لتقبل المذاهب الفكرية المعاصرة الوافدة، ولكل ما يلقى إليها من أفكار ومبادئ.

وهم في سبيلهم إلى اثارة الشكوك والبلبلة لا يدرسون الإسلام الصحيح ولكنهم يدرسون الإلحاد في الإسلام والشخصيات التي عرفت بالانحراف . [1]

مثل كلية بغداد التي أسسها المطران" :وليم آ – رايس) والأب" :إدوارد ف. مدارس "كما ذكر المبشر، الأب" :رتشرد يوسف مكارتي اليسوعي" في إهداءه لكتاب التمهيد للباقلاني، الذي حققه وأخرجه عام ١٩٧٥م والجامعة الأمريكية في بيروت، والجامعة الأمريكية في مصر، والجامعة الأمريكية في تركيا[2] .

- **عقد المؤتمرات الاستشراقية:**

لتبادل الرأي فيما يحقق أهداف الاستشراق ،و عقد الندوات ولقاءات التحاور الرامية إلى بث الأفكار الاستشراقية والترويج لها، وإقناع مثقفي العالم الإسلامي بها.

فقد تتابعت المؤتمرات بعد ذلك حتى بلغت أكثر من ثلاثين مؤتمراً دوليًّا، فضلاً عن الندوات واللقاءات الإقليمية الكثيرة الخاصة بكل دولة من الدول كمؤتمر المستشرقين الألمان

[1] – أنور الجندي ، تاريخ الغزو الفكري والتعريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين ،ص 154.

[2] – عبد الرحمن حبنكة الميداني ،أجنحة المكر الثلاثة ، المرجع السابق ، ص 136.

الذي عقد في مدينة درسدن بألمانيا عام 1849م، وما تزال تنعقد مثل هذه المؤتمرات باستمرار حتى الآن.

يحضر هذه المؤتمرات مئات من العلماء المستشرقين، حيث حضر مؤتمر أكسفورد تسعمائة 900 عالم من خمس وعشرين دولة وثمانين جامعة وتسع وستين جمعية علمية.

هناك العديد من الجمعيات الاستشراقية كالجمعية الآسيوية في باريس تأسست عام 1822م، والجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وأيرلندا عام 1823م، والجمعية الشرقية الأمريكية عام 1842م والجمعية الشرقية الألمانية عام 1845م.

وفي هذه الندوات ولقاءات التحاور يستدرجون بعض المسلمين من حيث يشعر هؤلاء أو لا يشعرون لتحريف الإسلام، دفاعاً عنه حيناً، وتطويعاً له حتى يساير المفاهيم الغربية حيناً آخر، بحيلة مرونة الشريعة الإسلامية.[1] .

وقد كانت مؤتمرات الاستشراق لا يدعى اليها من البلاد العربية الا أعوان المستشرقين ودعاة التغريب وأن أحدا منهم لم يعارض أى اتجاه للممستشرقين فيما عدا أحمد زكى باشا شيخ العروبة وعبد الله فكرى في أول مؤتمر للمستشرقين حيث تحدث الأخير عن بطلان دعوى اللغة العامية. [2]

والملاحظ على هذه الوسائل انها تشترك في نقاط رئيسة نجملها في الاتي :

---

[1] – المرجع السابق ، ص 135.

[2] – أنور الجندي ، تاريخ الغزو الفكري والتعريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين، مرجع سابق، ص 154.

- تشويه الثقافة الإسلامية والتراث العربي والإسلامي.

-افساد الخصائص القومية في البلاد العربية والإسلامية.

- خلق تخاذل روحى وشعور بالنقص مما يؤدي إلى الخضوع للمدنية الغربية.

-توسيع شقة الخلاف بين الطوائف والمذاهب واثارة النزاع بين الأديان.

-اخضاع الأمة الإسلامية والوطن العربي للاستعمار الغربى.

-اعداد شخصيات عربية لا تقاوم النفوذ الأجنبى

ويلتقي الغزاة المستعمرون والمبشرون ومعظم المستشرقين على محاربة الإسلام ومقاومة دعوته وهدم أبنيته.

وسبب التقائهم على محاربته واضح لا يحتاج إلى تأمل كثير , فالإسلام بعقائده الحقة , وتعاليمه المشرقة , ودعوته الإنسانية العامة , وحيويته الكبرى , وفاعليته في نفوس المستمسكين به , هو الجدار الوحيد الذي يقف دون تحقيق المطامع المختلفة التي يهدف إليها كل جناح من الأجنحة الثلاثة , كما هو القوة المحركة في صد الحروب الصليبية التي قادها أجدادهم لغزو البلاد العربية الإسلامية طوال قرنين من الزمان , حتى اضطروا أن يرضوا من الغنيمة بالإياب .

ومن الجهود التي قام بها المستشرقون، أنهم قاموا بوضع الموسوعات العلمية الإسلامية مثل دوائر المعارف المختلفة مثل دائرة المعارف الإسلامية، والقاموس الإسلامي، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ورغم الأخطاء الكثيرة التي وقعت في دائرة المعارف الإسلامية وفي المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، إلا أن هذه الأعمال قد أدت خدمات جليلة للباحثين ووفرت كثيرا من الجهد والوقت. [1]

[1]– محمد السيد الجليند ،الاستشراق والتبشير، ص 25.

المحاضرة السابعة : أشهر المستشرقين وأعمالهم

أ. ج. أربري A. J. Arberry : انجليزي معروف بالتعصب ضد الإسلام والمسلمين ومن مُحَرِّرِي "دائرة المعارف الإسلامية "والآن أستاذ بجامعة كمبردج، ومن المؤسف أنه أستاذ لكثير من المصريّين الذين تَخَرَّجُوا في الدراسات الإسلامية واللغوية في انجلترا .ومن كتبه:

- الإسلام اليوم صدر في عام ١٩٤٣م.
- مقدمة لتاريخ التصوف " صدر في عام ١٩٤٧م.
- –التصوف صدر في عام ١٩٥٠م.

ترجمة القرآن صدر في عام ١٩٥٠م[1] .

- ألفرد جيوم A. Geom :انجليزي معاصر، اشتهر بالتعصب ضد الإسلام. حاضر في جامعات انجلترا وأمريكا. وَتَغْلُبُ على كتابته وآرائه الروح التبشيرية. ومن كتبه "الإسلام "ومن المؤسف أنه تَخَرَّجَ عليه كثير مِمَّنْ أرسلتهم الحكومة المصرية في بعثات رسمية للخارج لدراسة اللغات الشرقية[2] .

- بارون كارا دي فو: Baron Carra de Vaux :

[1] –مصطفى السباعي ، كتاب الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، مرجع سابق ، ص 38.

[2] – المرجع السابق ،ص 39.

فرنسي متعصب جدا ضد الإسلام والمسلمين. ساهم بنصيب بارز في تحرير "دائرة المعارف الإسلامية".[1]

- أ. ر .جب H. A. R. Gibb :أكبر مستشرقي إنجلترا المعاصرين كان عضواً بالمجمع اللغوي في مصر والآن أستاذ الدراسات الإسلامية والعربية في جامعة هارفرد الأمريكية. من كبار مُحَرِّرِي وناشري "دائرة المعارف الإسلامية ." له كتابات كثيرة فيها عمق وخطورة وهذا هو سر خطورته .ومن كتبه:

١ " – طريق الإسلام " ألفه بالاشتراك مع آخرين وترجم من الإنجليزية إلى العربية تحت العنوان المذكور.

٢ " – الاتجاهات الحديثة في الإسلام ." صدر في عام ١٩٤٧م وأعيد طبعه وترجم إلى العربية تحت العنوان المذكور.

٣ " – المذهب المحمدي " صدر في عام ١٩٤٧م وأعيد طبعه.

٤ " – الإسلام والمجتمع الغربي " يصدر في أجزاء وقد اشترك معه آخرون في التأليف وله مقالات أخرى متفرقة[2] .

- **سيلفستر دي ساسي Silvester de Sacy (1758–1838) م:**

[1] – محمد البهي ، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، ص 23.

[2] –مصطفى السباعي ، كتاب الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، مرجع سابق ،ص 39.

ولد في باريس عام 1758، وتعلم اللاتينية واليونانية ثم درس على بعض القساوسة منهم القس مور والأب بارتارو، ثم درس العربية والفارسية والتركية. عمل في نشر المخطوطات الشرقية في مكتبة باريس الوطنية ،وكتب العديد من البحوث حول العرب وآدابهم وحقق عدداً من المخطوطات .

عين أستاذا للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية الحية عام 1795 وأعد كتاباً في النحو ترجم إلى الإنجليزية والألمانية والدنماركية ،وأصبح مديراً لهذه المدرسة عام 1833، وعندما تأسست الجمعية الأسيوية انتخب رئيساً لها عام 1822. ومن أبرز اهتماماته الدروز حيث ألف كتاباً حولهم في جزأين. أصبحت فرنسا في عهده قبلة المستشرقين من جميع أنحاء القارة الأوروبية ويقول أحد الباحثين إنّ الاستشراق اصطبغ بالصبغة الفرنسية في عصره. عمل دي ساسي مع الحكومة الفرنسية وهو الذي ترجم البيانات التى نشرت عند احتلال الجزائر وكذلك عند احتلال مصر من قبل حملة نابليون عام 1797.[1]

- جولدزيهير: Goldizher : مَجَرِيٌّ عرف بعدائه للإسلام وبخطورة كتاباته عنه ومن مُحَرِّرِي " دائرة المعارف الإسلامية ". كتب عن القرآن والحديث ومن كتبه " تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي " المترجم إلى العربية تحت العنوان السابق. [2]

[1] – مازن مطبقاني ، الاستشراق ،مرجع سابق ص 27.

[2] – محمد البهي ، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، مرجع سابق ،ص 41.

- جون ماينارد: Maynard أمريكي متعصب كان يساهم في تحرير " مجلة جمعيَّة الدراسات الشرقية " الأمريكية، وخاصة باب الكتاب الجديدة التي لها صلة بالإسلام وبالشرق على العموم. (أنظر – مثلاً ص ٢٢ وما بعدها من العدد ٢، من المجلد ٨، أبريل سنة ١٩٢٤م من المجلة المذكورة). [1]
- س. م. زويمر: S. M. Zweimer مستشرق مُبَشِّرٌ أشتهر بعدائه الشديد للإسلام، مؤسس مجلة " العالم الإسلامي " الأمريكية التبشيرية مؤلف كتاب " الإسلام تحد لعقيدة " صدر في سنة ١٩٠٨م، وناشر كتاب " الإسلام " وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني في سنة ١٩١١م بلكنهؤ في الهند. وتقديراً لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون وقفاً بإسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين. [2]
- عزيز عطية سوريال: مصريٌّ مسيحي، كان أستاذاً بجامعة الاسكندرية والآن يُدَرِّسُ بإحدى جامعات أمريكا، شديد الحقد على الاسلام والمسلمين وكثير التحريف للتعاليم الإسلامية. يستعين على الحقد والتحريف بكونه بعيداً عن مصر والمسلمين، له بعض الكتب عن الحروب الصليبية. [3]

---

[1] – المرجع نفسه، ص 41.

[2] – المرجع السابق ، ص 41.

[3] –مصطفى السباعي ، كتاب الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، مرجع سابق ،ص 42.

- غ. فون جرونباوم. G. von Grunbaum من أصل ألماني، يهودي مستورد إلى أمريكا للتدريس بجامعاتها وكان أستاذاً بجامعة شيكاغو، من أَلَدِّ أعداء الإسلام. في جميع كتاباته تَخَبُّطٌ واعتداء على القيم الإسلامية والمسلمين، كثير الكتابة وله معجبون من المُسْتَشْرِقِينَ. ومن كتبه:

- 1 – "اسلام العصور الوسطى" صدر في عام 1946م.
- 2 – "الأعياد المحمدية" صدر في عام 1951م.
- 3 – "محاولات في شرح الإسلام المعاصر" صدر في عام 1947م.
- 4 – "دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية" صدر في عام 1954م.
- 5 – "الإسلام" مجموعة من المقالات المتفرقة، صدر في عام 1957م.
- 6 – "الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية" ، صدر عام 1955م.

- فيليب حِتِّي: Ph. Hitti لبناني مسيحي تأمرك، كان أستاذاً بقسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون بأمريكا ثم رئيساً لهذا القسم، وهو الآن بالمعاش. من أَلَدِّ أعداء الإسلام، ويتظاهر بالدفاع عن القضايا العربية في أمريكا، وهو مستشار غير رسمي لوزارة الخارجية الأمريكية في شؤون الشرق الأوسط، يحاول دائماً أنْ ينتقص دور الإسلام في بناء الثقافة الانسانية ويكره أنْ ينسب للمسلمين أي فضل، فقد كتب – على سبيل المثال – في "دائرة المعارف الأمريكية" طبع سنة 1948م تحت عنوان "الأدب العربي" ص 129 يقول: «ولم تبدأ أمارات الحياة الأدبية الجديدة بالظهور إلاَّ في القسم الأخير من

القرن التاسع عشر، وكان الكثرة من قادة هذه الحركة الجديدة نصارى من لبنان تعلموا واستوحوا من جهود المُبَشِّرِينَ الأمريكيين».

ومحاولات "حِتّي" انتقاص فضل الإسلام والمسلمين ليست فقط قاصرة على العصر الحديث ولكنها تنطبق على جميع مراحل التاريخ الإسلامي كما هو موضح في كتبه التي نذكر منها:

- 1 – "تاريخ العرب" ظهر بالإنجليزية وأعيد طبعه عدة مرات وهو مليءٌ بالطعن في الإسلام والسُخرية من نبيِّه وكله حقد وسُمٌّ وكراهية. انظر مثلاً مجلة "الإسلام" الإنجليزية Al – Islam التي تصدر في كراتشي – باكستان ص 138 من عدد أبريل سَنَةَ 1958م، ص 146 من عدد أول مايو سَنَةَ 1958م.

– "تاريخ سوريا" .

– "أصل الدروز وديانتهم" ، صدر في سنة 1928م.[1]

- جوستاف فون جرونباوم Gustav Von Grunbaum (1909–1972)

ولد في فينا في 1909/9/1، درس في جامعة فينا وفي جامعة برلين ،هاجر إلى الولايات المتحدة والتحق بجامعة نيويورك عام 1938ثم جامعة شيكاغو ثم استقر به المقام في جامعة كاليفورنيا حيث أسهم في تأسيس مركز دراسات الشرق الأوسط الذي أطلق عليه

[1] – المرجع السابق ،ص 44.

اسمه فيما بعد.من أهم كتبه الإسلام في العصر الوسيط، كما اهتم بدراسة الأدب العربي وله إنتاج غزير في هذا المجال. [1]

أرنت فنسنك (1882–1939)Arnet Jan Wensink

تتلمذ على يد المستشرق هوتسمان ودي خويه وسنوك هورخرونيه وسخاو .حصل على الدكتوراه في بحثه (محمد واليهود في المدينة) عام 1908. بدأ في عمل معجم مفهرس لألفاظ الحديث الشريف مستعيناً بعدد كبير من الباحثين وتمويل من أكاديمية العلوم في أمستردام ومؤسسات هولندية وأوروبية أخرى. وأصدر كتاباً في فهرسة الحديث ترجمه فؤاد عبد الباقي بعنوان (مفتاح كنوز السنة) أشرف على طباعة كتابات سنوك هورخرونيه في ستة مجلدات. له مؤلفات عديدة منها كتاب في العقيدة الإسلامية نشأتها وتطورها التاريخي. [2]

- جاك واردنبرج (75) Jacque Waardenburg.

ولد في 15 مارس 1930، درس القانون بجامعة أمستردام ودرس أيضاً علم اللاهوت بالجامعة نفسها.درس العربية في الفترة من 1953إلى 1956بجامعة أمستردام وفي ليدن وفي مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس . حصل على منحة من اليونسكو

[1] – مازن مطبقاني ، الاستشراق ، مرجع سابق ،ص 50.

[2] – المرجع السابق ، ص 42.

لزيارة بعض الدول العربية والإسلامية فزار إيران ولبنان ومصر والأردن.كانت رسالته للدكتوراه بعنوان (الإسلام في مرآة الغرب) من جامعة أمستردام. عمل في معهد الدراسات الإسلامية بجامعة ماقيل بكندا في الفترة من 1962-1963.قام بزيارات علمية لأجراء بحوث حول الجامعات في العالم العربي في كل من تونس ولبنان وسوريا والعراق والأردن. عمل باحثاً زائراً في جامعة كليفورينا –لوس أنجلوس وعمل في مجال التدريس في جامعة أوترخت بهولندا (1968-1987) ثم انتقل إلى جامعة لوزان بسويسرا وبقي فيها حتى تقاعد عام 1995، له إنتاج غزير في مجال الدراسات الإسلامية منها (الإسلام في مرآة الغرب) و(واقع الجامعات العربية –مجلدان) والطرق الكلاسيكية لدراسة الدين. شارك في الكتابة في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الثانية) وقد كتب مادة (مستشرقون). [1]

- كينيت كراج K. Cragg :أمريكي شديد التعصب ضد الإسلام. قام بالتدريس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة لفترة من الوقت والآن رئيس تحرير مجلة "العالم الإسلامي" الأمريكية التبشيرية ورئيس قسم اللاهوت المسيحي في هارتفورد ومُتَعَهِّدُ مُبَشِّرِينَ ومن كتبه "دعوة المئذنة" ، صدر في عام ١٩٥٦م[2] .

[1] – المرجع نفسه ، ص 47.

[2] –مصطفى السباعي ، كتاب الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ،ص 45.

- لوي ماسينيون L. Mssignon :أكبر مستشرقي فرنسا المعاصرين، ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال أفريقيا، والراعي الروحي للجمعيَّات التبشيرية الفرنسية في مصر. زار العالم الإسلامي أكثر من مرة وخدم بالجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الأولى، كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العِلْمِيّ العربي في دمشق، متخصص في الفلسفة والتصوُّف الإسلامي، ومن كتبه: "الحلاج الصوفي الشهيد في الإسلام" ، صدر في سَنَةِ ١٩٢٢م. وله كُتب وأبحاث أخرى عن الفلسفة والتصوف، وهو من كبار مُحَرِّرِي "دائرة المعارف الإسلامية[1]."
- بول كراوس Paul Eliezer Kraus (1904–1944)

ولد في 1904 في براغ بتشيكوسلوفاكيا لأسرة يهودية، هاجر إلى فلسطين ليعيش في إحدى المستعمرات ودرس في مدرسة الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية في القدس، ثم انتقل إلى برلين ليحصل من هناك على درجة الدكتوراه. اهتم بالتراث العلمي الإسلامي وكانت له دراسات حول جابر بن حيّان والبيروني والرازي .

أسهم مع ماسنيون في دراسة الحلاج، كما كان له دراسة مستقلة حول تاريخ الإلحاد في الإسلام ترجمت إلى العربية ونشرها الدكتور عبد الرحمن بدوي، مات منتحراً. [2]

---

[1] –المرجع نفسه ،ص 45–46.

[2] – مازن مطبقاني ، الاستشراق ، مرجع سابق ، ص 47.

د. ب .ماكدونالد D.B. Macdonald :أمريكي من أشد المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين، يصدر في كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة. من كبار مُحَرِّرِي "دائرة المعارف الإسلامية " ومن كتبه:

١ " – تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام " صدر في سنة ١٩٠٣م.

٢ " – الموقف الديني والحياة في الإسلام" ، صدر في سنة ١٩٠٨م .[1]

- د. س. مرجوليوث D. S. Margoliouth :انجليزي متعصب ضد الإسلام ومن مُحَرِّرِي " دائرة المعارف الإسلامية "، كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العِلْمِيّ في دمشق. ومن كتبه:

١ " – التطورات المبكرة في الإسلام " صدر في سنة ١٩١٣م.

٢ " – محمد ومطلع الإسلام "، صدر في سنة ١٩٠٥م.

٣ " – الجامعة الإسلامية "، صدر في سنة ١٩١٢م[2] .

- شميت (1871–1941) A.E. Schmidt.

تلقى تعليمه على يد المستشرقين روزين وجولدزيهر، تخصص في دراسة اللغة العربية والتاريخ الإسلامي ، عمل أستاذاً في جامعة بطرسبرح مدة عشرين سنة ، ثم انتقل إلى

---

[1] –مصطفى السباعي ، كتاب الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، مرجع سابق ص 46.

[2] –المرجع نفسه ،ص 47.

طشقند عام 1920 ليؤسس جامعة فيها وكان أول رئيس لها . من آثاره (تاريخ الإسلام) و(النبي محمد) و (محاولة التقريب بين السنة والشيعة) و(فهرس المخطوطات العربية في طشقند). [1]

- أ: نيكولسون: R. A. Nicholson كان من أكبر مستشرقي إنجلترا المعاصرين ومن مُحَرِّرِي " دائرة المعارف ". تخصص في التصوف الإسلامي والفلسفة وكان عضواً بالمجمع اللغوي المصري. وهو من المُنْكِرِينَ على الإسلام أنه دين روحي ويصفه بالمادية وعدم السمو الانساني. ومن كتبه:

١ " – متصوفو الإسلام " صدر في سنة ١٩١٠م.

٢ " – التاريخ الأدبي للعرب "، صدر في سنة ١٩٣٠م[2] .

مقيل آسين بلاثيوس (1871–1944) Miguel Asin Placios

ولد في 5يوليو 1871بمدينة سرقسطة والتحق بكلية الآداب بجامعة سرقسطة بالإضافة إلى دراسته في المعهد المجمعي فتخرج فيه قسيساً. درس اللغة العربية على يد المستشرق ربيرا .

[1] – مازن مطبقاني ، الاستشراق ، مرجع سابق ،ص 42.

[2] –مصطفى السباعي ، كتاب الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، مرجع سابق، ص 47.

التحق بجامعة مدريد للحصول على درجة الدكتوراه وكانت عن الغزالي. تولى كرسي اللغة العربية في جامعة مدريد. من أبرز إنتاجه العلمي بحثه المعنون(الرشدية اللاهوتيه في مذهب القديس توما الإكويني) وبحثه عن تأثر دانتي(الشاعر الإيطالي)بعنوان (الأخرويات الإسلامية في الكوميديا الإلهية) . وأبدى اهتماماً بابن حزم والقرطبي وأبي حامد الغزالي، ومحي الدين بن عربي .

شارك مع المستشرق ربيرا في إصدار مجلة الثقافة الإسبانية 1906–1909واختير عضواً في الأكاديمية الملكية للعلوم الأخلاقية (1912) وعيّن عضواً في الأكاديمة الإسبانية عام 1919. [1]

- هنري لامانس Henry Lammens : ولد في مدينة خنت في بلجيكا في 1862/07/01، تعلم في الكلية اليسوعية في بيروت وبدأ حياة الرهبنة فيها، يقول عنه عبد الرحمن بدوي: بلجيكي وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام ، يفتقر افتقاراً تاماً إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها ، ويعد نموذجاً سيئاً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين. "عمل معلماً في الكلية اليسوعية في بيروت حيث درّس التاريخ والجغرافيا، ثم أصبح أستاذاً للتاريخ الإسلامي في معهد الدروس الشرقية في الكلية نفسها ".

[1] – مازن مطبقاني ، الاستشراق ، مرجع سابق، ص 44.

تولى رئاسة تحرير مجلة الشرق،وتولى كذلك إدارة مجلة تنصيرية أخرى هي البشير. له كتابات حول السيرة النبوية وحول الخلفاء الراشدين والدولة الأموية. [1]

- يوسف شاخت J. Schacht :ألماني متعصب ضد الإسلام والمسلمين له كتب كثيرة عن الفقه الإسلامي وأصوله. من مُحَرِّرِي " دائرة المعارف الإسلامية " و " دائرة معارف العلوم الإجتماعية ". وأشهر كتبه: " أصول الفقه الإسلامي" .[2]
- رودي بارت Rudi Paret

ولد عام 1901، درس في جامعة توبنجن اللغات السامية والتركية والفارسية في الفترة من 1920 حتى 1924وتخرج على يد المستشرق الألماني ليتمان.امضى سنتين في القاهرة (1925–1926) ، كان اهتمامه في البداية بالأدب الشعبي ولكنه تحول إلى الاهتمام باللغة العربية والدراسات الإسلامية وبخاصة القرآن الكريم. تولى العديد من المناصب العلمية منها مدرّس في جامعة توبنجن وأستاذاً بجامعة هايدلبرج ثم عاد إلى توبنجن أستاذاً للغة العربية والإسلاميات من عام 1951–1968.ومن أهم مؤلفاته (محمد والقرآن) وترجم معاني القرآن الكريم إلى الألمانية وله كتاب عن القرآن بعنوان(القرآن تعليق وفهرست). [3]

- ثيودور نولدكه Theodor Noldeke (1836–1930)

---

[1] – المرجع السابق ، ص 48.

[2] –مصطفى السباعي ، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، مرجع سابق ،ص 49.

[3] – مازن مطبقاني ، المرجع نفسه ، ص 40.

ولد في هامبرج في 2مارس 1836ودرس فيها اللغة العربية ودرس في جامعة ليبزيج وفينا وليدن وبرلين . عيّن أستاذاً للغات الإسلامية والتاريخ الإسلامي في جامعة توبنجن، وعمل أيضاً في جامعة ستراستبرج. اهتم بالشعر الجاهلي وبقواعد اللغة العربية وأصدر كتاباً بعنوان (مختارات من الشعر العربي) من أهم مؤلفاته كتابه (تاريخ القرآن) نشره عام 1860 وهو رسالته للدكتوراه وفيه تناول ترتيب سور القرآن الكريم وحاول أن يجعل لها ترتيباً ابتدعه، ذكر عبد الرحمن بدوي أن نولدكه يعد شيخ المستشرقين الألمان. [1]

- كارل بروكلمان (1868-1956) Carl Brockelmann : ولد في 17 سبتمبر 1868في مدينة روستوك ، بدأ دراسة اللغة العربية وهو في المرحلة الثانوية ، ودرس في الجامعة بالإضافة إلى اللغات الشرقية اللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) ودرس على يدي المستشرق نولدكه. اهتم بدراسة التاريخ الإسلامي وله في هذا المجال كتاب مشهور (تاريخ الشعوب الإسلامية) ولكنه مليء بالمغالطات والافتراءات على الإسلام، ومن أشهر مؤلفاته كتاب (تاريخ الأدب العربي) الذي ترجم في ستة مجلدات وفيه رصد لما كتب في اللغة العربية في العلوم المختلفة من مخطوطات ووصفها ومكان وجودها. [2]
- آنا ماري شميل (-1922) Annemarie Schimmel

[1] – مازن مطبقاني ، الاستشراق ، مرجع سابق ،ص 38.

[2] – المرجع نفسه ، ص 39.

من أشهر المستشرقين الألمان المعاصرين بدأت دراسة اللغة العربية في سن الخامسة عشرة وتتقن العديد من لغات المسلمين وهي التركية والفارسية والأوردو . درّست في العديد من الجامعات في ألمانيا وفي الولايات المتحدة الأمريكية وفي أنقرة . اهتمت بدراسة الإسلام وحاولت تقديم هذه المعرفة بأسلوب علمي موضوعي لبني قومها حتى نالت أسمى جائزة ينالها كاتب في ألمانيا تسمى جائزة السلام. ولكن بعض الجهات المعادية للإسلام لم يرقها أن تنال هذه الباحثة المدافعة عن الإسلام في وجه الهجمات الغربية عليه حاولوا أن يمنعوا حصولها على الجائزة .

وقد أدرك مكانة هذه المستشرقة العلاّمة والداعية المسلم في أوروبا الدكتور زكي علي منذ أكثر من أربعين سنة حين كتب يقول: "وعلى رأس المحررين (لمجلة فكر وفن) الأستاذة الألمعية الدكتورة آن ماري شميل المتخصصة في دراسة محمد إقبال حكيم وشاعر باكستان ..وترجمت إلى الألمانية له ديوان (جاويد نامة) وكتاب (رسالة المشرق عن الفارسية) وهي أستاذة بجامعة بون وغيرها ومن أكابر علماء ألمانيا..وتتصف الإسلام والمسلمين كثيراً جزاها الله خيراً." وقال عنها أيضاً أنها أصدرت العديد من الكتب منها كتاب (محمد رسول الله) بسطت فيه مظاهر تعظيم وإجلال المسلمين لرسول الله ،وقد امتدحها رئيس المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا بأنها ما زالت تواصل كتاباتها الموضوعية وترجماتها عن الإسلام. [1]

[1] – المرجع نفسه ، ص 41.

المحاضرة الثامنة: المستشرقون والقرآن الكريم

مع تطور الصراع الحضاري؛ تعددت مقذوفات الاستشراق ورواده، وتشعّبت فباتت الصبغة الدينية قرينة للتفنن في الهجوم على أركانه ومصادره الكبرى.

والملحظ أن الأعمال الاستشراقية صارت تحظى برعاية رسمية من القوى الغربية ، فرُصِدت لها المخصَّصات المالية الرسمية، كما انتُدب لها المستشرقون المكلَّفون بها .

يقول " إدوارد سعيد ": " ولقد أظهر مؤرخون عديدون أن أقدم الباحثين الأوربيين في شؤون الإسلام كانوا من أهل الجدل في القرون الوسطى، ممن كتبوا لتبديد تهديد الحشود الإسلامية وتهديد الارتداد، وبطريقة أو بأخرى تواصل هذا المزيج من الفزع والعداء حتى يومنا هذا في الانتباه البحثي وغير البحثي المنصب على إسلام يرى منتميا إلى جزء من العالم (هو الشرق) يوضع موقع النقيض ضد أوروبا والغرب على الصعيد التخييلي والجغرافي والتاريخي "[1]

ما يعكس بصورة واضحة هدف رجالات الاستشراق لينتظم في مسار التشكيك في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث.

[1] – إدوارد سعيد، تعقيبات على الاستشراق ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1996م، ص 119.

- **مكانة القرآن الكريم في حياة المسلمين وخطورته في نظر الغرب**

إن القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله له منذ أن كان في السماء، وفي طريقه إلى الأرض، وحين نزل إلى الأرض، وإن كتابة القرآن الكريم زمن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين .

وقد عنيت الأمة الإسلامية عنايةً فائقةً بالقرآنِ الكريم منذ نزوله على نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، ولم يدع العلماء ناحيةً من نواحي القرآنِ الكريم الخصبة إلا وألفوا فيها المؤلفات القيمة، فمنهم من ألف في نزول القرآن، ومنهم من ألف في إعجازه، ومنهم من ألف في إعرابه، ومنهم من ألف في تفسيره، ويتمالكك العجب حين ترى الكم الهائل من كتب التفسير – وهم يتبارَون في تفسيره – فمنهم من يهتم بإبرازِ الجانب اللغوي، ومنهم من يهتم بإبرازِ الجانب البلاغي، ومنهم من يهتم بإبرازِ الجانب البياني، ومنهم من يهتم بإبرازِ الجانب الفقهي، ومنهم من يهتم بإبرازِ الجانبِ الإعجازي .

وقد دلت الروايات التاريخية منذ وقعة اليمامة على مدى العناية والاهتمام من الصحابة رضوان الله عليهم بالقرآن الكريم..وقد فزع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما علم بكثرة القتلى من القراء، وخشي أن يشتد في مواقع أخرى ويكثر القتلى منهم فيذهب كثير من القرآن. ودار حوار بينهما حول كيفية العمل والحال ما وقع، ثم استدعى الخليفة أبو بكر الصديق زيد بن ثابت رضي الله عنه

وأمره بجمع القرآن الكريم فدلَّ ذلك على مدى اهتمامهم بالقرآن الكريم حيث جعلوه من أولويات عملهم، بعد أن تناقش الجميع في الأمر وانتهوا إلى ما انتهوا إليه..[1]

وفي عهد عثمان رضي الله عنه اتسعت الفتوحات وقد زادت معها حاجة الناس إلى المصاحف، فكان من الطبيعي أن تتعدد القراءات وتتباعد اللهجات ويقع الاختلاف في القرآن خاصة في وجود مصاحف الصحابة التي لم يمكن ترتيبها وضبط تلاوتها ورسمها لتباعد الأمصار الإسلامية عن المدينة.

لقد خشي بعض الصحابة أن تتسع دائرة الخلاف فطلبوا من الخليفة أن يوحد الناس على مصحف واحد وكان القرآن يُؤخذ بالتلقي، يأخذه الآخر عن الأول، فلما أخذ الناس من المصاحف مباشرةً، حصل بينهم اختلاف في القرآن، أدى إلى تجديد فكرة جمع القرآن مرة أخرى، مع تغير في منهج الجمع .[2]

أرسل عثمان – رضي الله عنه – المصاحف التي تم نسخها إلى الأمصار، أمر بما سواها مما كان بأيدي الناس أن يحرق، كما في حديث أنس السابق الذي أخرجه البخاري" :فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل

---

[1] – علي العبيد، جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة ،ص 30.

[2] – عبد الله حمد، الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية ، ج1 ،ص 69.

صحيفة أو مصحف أن يحرق ."وقد استجاب الصحابة كلهم لذلك، وقاموا بحرق مصاحفهم. [1]

وهكذا استطاع عثمان بن عفان – رضي الله عنه – بهذا العمل الجبار أن يزيل جذور الخلاف، ويجمع الأمة عبر كل العصور – منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم وحتى عصرنا الحاضر – على التزام المصحف الذي أجمعوا عليه، وحمد له المسلمون ذلك العمل.،يقول الزركشي:" ولقد وفق لأمر عظيم، ورفع الاختلاف، وجمع الكلمة، وأراح الأمة" [2] .

فهذا الحرص من الصحابة رضوان الله عليهم لم يقتصر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل تعداه وأشد إلى ما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

- **نماذج لآراء المستشرقين حول القرآن الكريم**

تجلى ذلك في كتاباتهم الاستعلائية والمتعصبة ،ما أنتج خطابا تحريضيا ضد الشرق وأهله ،ما يسهل الحملة الاستعمارية ويسهل تقبلها –بحسب هدفهم–وهذا ما انكشف في خطابهم.

---

[1] – علي العبيد، جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة ،ص 51.

[2] – بدر الدين الزركشي ،البرهان في علوم القرآن ، ج1،ص 239.

هذا الخطاب الفكري لاستشراقي :"لم يكن مُوَجَّهًا ابتداءً لناطقي العربية أو اللغات الشرقية وإلا لكانت الكتابة باللغة العربية، بل كان مُوَجَّهًا لأوروبا، أنه هذه هي صورة الإسلام فلا تتحولوا إليه، وإذا كانت هذه هي صورة المسلمين فلا تلومونا إذا اقتحمنا ديارهم، ولا تلومونا إذا استنزفنا خيراتهم، ولا تلومونا إذا تعصبنا ضدهم، لأن هؤلاء القوم يتسمون بخصائص عقلية وجنسية وثقافية لا تمكنهم من النهوض بأنفسهم، وهم بحاجة إلى عوننا والدور الذي سنقوم به والذي سنحدثه إنما هو لصالح الحضارة الإنسانية ،ويستمر هذا الخطاب عبر قرن من الزمان وهو القرن التاسع عشر، وهو القرن الذي اشتد فيه الاستشراق واشتدت فيه مؤسساته وأوزرت من قبل الحكومات المختلفة الأوروبية [1] .

حيث تتبدى النزعة الاستشراقيية الرامية إلى إعادة تشكيل الشّرق ليس كما هو وإنما كما يريد المُهيمن، أي تشويه الشّرق ونسج معرفة غير حقيقة عنه .

يذهب الدكتور مصطفى السباعي إلى القول بتجدد الهجمة الإستشراقي في العصر الحاضر في ظل ما يعتور الحضارة الغربية من الانحلال الديني والخلقي في الحضارة الغربية الحديثة، فقد " اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أنْ رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيّين، وأخذت تشكُّكَهُم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى، فلم يجدوا خيراً من تشديد الهجوم على الإسلام

[1]– أكرم ضياء العمري، كتاب موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية، ط1، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة– السعودية، ص 58.

لصرف أنظار الغربيِّين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة، وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في أوروبا بعد ذلك في نفوس الغربيِّين من خوف من قوة الإسلام وكرهٍ لأهله، فاستغلُّوا هذا الجو النفسي، وازدادوا نشاطاً في الدراسات الإسلامية" .[1]

إن الكثير من هذه الشبهات إنما يعتمد على القراءة المجتزأة لبعض آيات القرآن دون بقية الآيات التى تتناول ذات الموضوع.. وفى الرد عليها لا بد من سلوك المنهاج العلمى الصحيح فى فهم القرآن وتفسيره، منهاج رؤية الآيات التى تتناول الموضوع الواحد فى تكاملها؛ لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وتفسير القرآن بالقرآن سبيل أصيل من سبل الرد على كثير من هذه الشبهات.

وبذلك تسارعت مطاعن المستشرقين حول الإسلام ورسالته، وهو ما تجلى في كتاباتهم التي جانبت الحقيقة وأوغلت في التهجم على القرآن الكريم كأهم أركان الدين الإسلامي، مستخدمين في ذلك مناهج مخالفة للمنهج العلمي .

[1]– مصطفى السباعي ، الإستشراق والمستشرقون، ،مرجع سابق، ص 21.

- **ترجمة المستشرقين للقرآن الكريم**

يصرح يوهان فوك بحقيقة التناول الاستشراقي للقران الكريم كأبرز روافد الفكر الشرقي الإسلامي عندما يعمد الغرب إلى التعرّف على الشرق "الاستشراق" بدافع استعادة المستعمرات وإعادة التمدّد المسيحي، فمن الطبيعي أن لا تكون دراسته هذه واقعية أو حيادية. وإنما الهدف والغاية منها هي العثور على الخواصر الرخوة في الشرق، ومن الطبيعي أن لا تكون هذه الغاية علمية ولا واقعية.

وفي مثل هذه الظروف المتشنّجة لن تقوم معرفة كلّ واحد من الفريقين للآخر دقيقة ولا حقيقية .. لقد كان الدافع التبشيري وتنصير المجتمعات الشرقية أهم عنصر لترجمة القرآن والكتب العربية، فكلما استمرّت الحروب العسكرية والقتالية ضدّ المسلمين لن تفشل في تحقيق النصر وتغيير الدين وإضعاف الإيمان فحسب، بل كان يُشاهد تأثر الكثير من المقاتلين الصليبيين بالحضارة والفكر الإسلامي أيضاً ".[1]

إذ إن ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية لم تتم بقصد المعرفة الخالصة أو الفهم المجرد، أو التفاعل والتكامل مع الآخرين، بل إنها تمت بقصد معرفة المواطن التى يمكن الوثوب منها عليه، أو البحث عما يمكن أن يكون نقاط ضعف يتم التركيز عليها.

[1] – يوهان فوك ،تاريخ حركة الاستشراق ، ت:عمر لطفي العالم ،ط2،دار المدار الإسلامي، بيروت ،2001م، ص 15.

يورد أحمد غراب ما ذكره جورج سيل فى مقدمة ترجمته للقرآن بأن الهدف منها هو تسليح النصارى البروتستانت فى حربهم التنصيرية ضد الإسلام والمسلمين، لأنهم وحدهم قادرون على مهاجمة القرآن بنجاح، وأن العناية الإلهية قد ادَّخَرَتْ لهم مجد إسقاطه. [1]

فقد تركز جل اهتمام الاستشراق ورواده على دراسة للقران الكريم ، فاتخذوه موضوعًا لأبحاثهم ، وكان جانب السورة القرآنية من المجالات التي كتب فيها المستشرقون كتابات نقدية ، بغية الطعن والتشكيك في مصداقية السورة القرآنية ، واثبات بشريتها ، وهم بعيدون كل البعد عن الحق ، فالقوا شبههم محاولين بث الشك حول هذا الكتاب السماوي الخالد ، وزعزعة الثقة به في نفوس المسلمين.

بالإضافة الى ترجمات كثيرة لمعاني القرآن الكريم قام بها المستشرقون وهي تزيد على خمس وسبعين ترجمة، ونحن لا نعرف هذه التراجم، بل لا تكاد تجتمع في مكتبة من مكتبات العالم الإسلامي.

يقول جورج سيل George Sail في مقدمة الترجمة الإنكليزية لمعاني القرآن الكريم سَنَةَ 1736 م: " أما أن محمدًا كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل، وإن كان من المُرَجَّحِ مع ذلك أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة، وهذا واضح في أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك، يشير إلى آيات القرآن }إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) {١ (وقول

[1] – أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، ص 35.

الحق تعالى} :إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) {٢ (المقصود أن هذه مقدمة لترجمة لمعاني القرآن إلى الإنكليزية، وهي من أقدم الترجمات.!! [1].

وقد عمد المترجمون إلى تشويه ترجمة القرآن بإسنادها إلى مترجمين من الدرجة الثانية والثالثة ومعاملة النص القرآنى معاملة مؤلفات بشرية، وذلك للحد من إمكان إقبال غربىّ على هذه الترجمات والإفادة منها، وبذلك تألَّف حاجز نفسي عميق بين غير المسلم والقرآن، وكانت هذه الترجمات أحد أسباب سيول الأباطيل والمطاعن والشتائم التى ساقها كتِّاب التنصير ضد القرآن الكريم.

ففي القرآن الكريم: دليل القرآن لفلوجيل، ثم لماليز الذي جمع مفرداته وأفعاله حتى حروف الجر والعطف فيه ورقم آياته وسوره. ومجموعة علوم القرآن لبرجشتراسر، وبريتسل، وقد دوّنا كل آية في لوح خاص يحوى متنوع الرسم في مختلف المصاحف، مع بيان قراءاتها ومتعدد تفاسيرها.

ثم نشرا في موضوعها ثمانية كتب من الأمهات ترجما بعضها إلى الألمانية. وتاريخ النص القرآني لنولدكه، وقراءات القرآن الجفري. وفضائل القرآن لابن سلاَّم بتحقيق شبيتاليز، والقرآن لبابا جانيني، وريتشارد بل، وبوزاني وسترستين (أربع طبعات) وصوت الأخلاق في القرآن لأوسترن، والوحدانية في القرآن لأوستاس هايدون أستاذ تاريخ الأديان في جامعة

[1] – أكرم ضياء العمري، كتاب موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية ، ص 64.

شيكاغو، والعدل الاجتماعي في الإسلام لرشبروك وليامز، وحضارة الإسلام الإنسانية لباتين إلخ".[1]

المحاضرة التاسعة: شبهات المستشرقين حول القرآن الكريم

يظهر التشكيك في الإسلام ورسالته عبر كتابات (جولد تسيهر) كمثال شارح للدور الاستشراقي الطاعن في الإسلام عبر كتابه العقيدة والشريعة في الإسلام الذي يقول فيه :"فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، التي تأثر بها تأثرا عميقا، والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني قومه"[2].

وهذا الكلام من جولد تسيهر فيه تصريح من هذا المستشرق بإنكار مصدرية الوحي والقول بان النبي عليه الصلاة والسلام اخذ الدين عن اليهود والنصارى واقتبس من شرائعهم لما كان له من اتصال سابق بهم –بحسب جولد تسيهر، وهي شبهة قديمة متجددة.

إن هذه المواقف الاستشراقية العدائية للوحي تمثل نموذجا شارحا للأهداف التنصيرية التي أوغلت في محاولاتها النيل من المقدسات الإسلامية وعقيدة المسلمين .

---

[1] – موسى البسيط، رد الطعون الواردة في الموسوعة العبرية عن الإسلام ، ص 05.

[2]– اجناس جولد تسيهر،العقيدة والشريعة في الإسلام ،تحقيق: محمد يوسف موسى، ط 1،دار الكتب الحديثة، القاهرة–مصر،1378هـ–1959 م ، ص 16.

وبذلك يكون أهم أهداف الاستشراق حماية النصارى من خطر الإسلام–حسب زعمهم– بحجب حقائقه عنهم، واطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين، و" تنصير المسلمين وإبعادهم عن دينهم عن طريق التشكيك في كتاباتهم ونبيهم ودينهم وتراثهم وحضارتهم" [1].

- ***شبهة الانتحال***

تكاد تجد إجماعاً من المستشرقين قديماً وحديثاً على فكرة إنكار أن القرآن وحيٌ من عند الله، وأنّ محمداً صلى الله عليه وسلم اعتمد كثيراً في القرآن على الأخذ من اليهودية والنصرانية، وبخاصة على الأخذ من العهدين القديم والجديد أي من التوراة والإنجيل.

ويردد هذا الزعم "ريتشارد بل "في كتابه "مقدمة القرآن "حيث يرى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فرصته في المدينة للتعرف على ما في العهد القديم أفضل من وضعه السابق في مكة؛ إذ كان على اتصال بالجاليات اليهودية في المدينة، وعن طريقها حصل على قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى على الأقل "[2]

بعد استعراض أهم أحداث السيرة بين ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم وزواجه بخديجة رضي الله عنها وتحليلها، يقول وات :" تلك هي الوقائع التي تهيمن على حياة محمد قبل زواجه، من وجهة نظر المؤرخ بعض هذه الوقائع موضع جدل.. ، ولا شك أنها ليست

---

[1]– محمود حمدي زقزوق، الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،ط2،دار المنار،1409هـ–1989م،ص 87.

[2] – نجيب العقيقي، المستشرقون ، ج3،ص 134.

حقيقة بالمعنى الواقعي للمؤرخ؛ لأنها تحاول وصف وقائع يمكن نسبتها لفترات لا حقة من حياة محمد ولكنها تعني مع تلك مغزى محمد بالنسبة للمسلمين والمؤمنين؛ فهي بذل حقيقة بالنسبة إليهم.. وتكون ملحقا مناسبا لحياة نبيهم. وربما يمكن اعتبارها كتعبير لمن كان له عيون ترى (فرأى لو كان شاهدا لها، ويكفي أن نذكر أشهر هذه القصص كما يرويها ابن إسحاق. [1]

إن تلمس كل حسنات الإسلام ومحاوله نسبتها إلى أصول يهودية أو نصرانية، هذا المنهج كان منذ البدء معمولاً به ولا يزال حتى الوقت الحاضر يظهر في عبارات المستشرقين المعاصرين، فالقضايا التي تتصل بتوحيد الإله، وبطرح العقيدة الدينية يشار فيها إلى أثر بَحِيرَا الرَّاهِبْ، وأثر ورقة بن نوفل.

وقد تكفل القرآن الكريم بهذه الشبهة فذكره في قول الله تعالى على لسان المشركين: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ} {الفرقان/04} ،وفي آية أخرى يقول سبحانه وتعالى: {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} {الفرقان/05} ، ثم يردّ جل وعلا عليهم بقوله: {قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً}(الفرقان/06)" .

وقد ركز أولئك المستشرقون على قضية واحدة دارت حولها كل افتراءاتهم وكلامهم، وهي إنكار نبوة النبي صلي الله عليه وسلم.

---

[1] – عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية ، ص 51.

فوجهوا في خدمة هذا الإنكار كل طاقاتهم وسهومهم، فمرة يصفون النبي عليه الصلاة والسلام بالهوس، ومرة يصفونه بالعبقرية، ومرة يصفونه بالسرقات العلمية من اليهود والنصارى، ومرة يزعمون أنه مصلح عظيم[1].

- **شبهات حول الوحي (الصرع-الإلهام)**

يصور غوستاف لوبون قضية الوحي بصورة الهوس والصرع عبر كتابه حضارة العرب في معرض ثنائه على ما قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم":وقيل إن محمداً كان مصاباً بالصرع ولم أجد في تواريخ العرب ما يبيح القطع في هذا الرأي وكل ما في الأمر هو ما رواه معاصرو محمد وعائشة منهم من أنه كان إذا نزل الوحي عليه اعتراه احتقان وجهي فغطيط فغشيان، وإذا عدوت هوس محمد ككل مفتون وجدته حصيفاً سليم الفكر، ويجب عد محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كما هو واضح؟؟" [2]

---

[1]– عبد المنعم محمد حسنين ، الإستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته،مرجع سابق،ص 83.

[2] – عبد العزيز القارئ ،المستشرقون في الميزان ، ص 152.

ومهما يكن من شيء فإن من المستشرقين نزيهين يعترفون بعظمة الرسول صلى الله عليه وسلم, وإن لم يعترفوا بنبوته. ولا يستطيعون إلا أن يعدُّوه من أعظم الرجال الذين ظهروا في التاريخ.

ومع هذا فإن للمستشرقين آراء مختلفة وأغراضاً متباينة؛ لأنهم كانوا يريدون أن يهدموا الإسلام بسلاح غير سلاح القتال وهو الاستشراق, فلذلك وصفوا ظاهرة الوحي وما كان يعتري النبي عند تلقيه بالهوس أو الصرع أو نحو ذلك من الانحرافات النفسية .

قال الله تعالى : مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ {القلم: 2 [وقال سبحانه} :إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ] {الحاقة: 40 – 43}

وأكثر المستشرقين لم يتوصلوا إلى تكوين فكرة صحيحةٍ عن مصدر القرآنِ ولا عن الوحي الذي أنزله الله على نبيه، فانساق الكُتَّابُ الغربيون وراءهم يرددون الفكرة نفسها من غير بينة، بل إن المتعصبين منهم عندما يتحدثون عن الرسول والقرآن والإسلام تتحوَّل ألسنتهم إلى معاول هدمٍ .

و هؤلاء المستشرقون المتنطعون– ولا يطلق هذا إلا على نزر منهم – فإذا عثروا على حكاية شاردة، أو نكتة فاردة، في زاوية كتاب قد يكون محرفة، سقطوا عليها تهافت الذباب

على الحلواء، وجعلوها معيارة ومقياسا، لا بل صيروها محكما يعرضون عليها سائر الحوادث ويغفلون".[1]

لقد حفظ الله تعالى القرآن بعد نزوله كما وعد، وسيبقى محفوظاً إلى قيام الساعة، وامتثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي حثنا على العناية بالقرآنِ الكريم والاهتمام به وتقديره وصَونه.

يقول طَلحَةُ بن مصرّف: سَأَلتُ عَبدَ اللهِ بنَ أَبِي أَوفَى: أَوصَى النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ؟ فَقَال: لا، فَقُلتُ: كَيفَ كُتِبَ عَلى النَّاسِ الوَصِيَّةُ، أُمِرُوا بِهَا ولم يُوصِ؟ قَال: أَوصَى بِكِتَابِ اللهِ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " ولعل النبيَّ صلى الله عليه وسلم اقتصر على الوصية بكتاب الله؛ لكونه أعظم وأهم، ولأن فيه تبيانَ كل شيء إما بطريق النص، وإما بطريق الاستنباط، فإذا اتبع الناس ما في الكتاب عملوا بكل ما أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم به"[2]

- **شبهة التحريف (حول صحّة النص القرآني)**

ينكر جمهور المستشرقين أن يكون محمد نبياً أوحى الله إليه، وأنزل عليه كتاباً من لدنه، ويتخبطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحابه، لا سيما عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فمن المستشرقين من يرجع ذلك إلى "صرع" كان ينتاب النبي حيناً بعد

---

[1] – نجيب العقيقي، المستشرقون ، ج3،ص 151.

[2] – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب الوَصاة بكتاب الله عز وجل ،ص 1093.

حين، ومنهم من يرجعه إلى تخيلات كانت تملأ ذهن النبي،ومنهم من يفسرها بمرض نفسي، إلى غير ذلك.

يتبع التشكيك في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم عبر إنكارهم كون القرآن كتاباً منزلاً عليه من عند الله عز وجل، وحين يفحمهم ما ورد في القرآن من حقائق تاريخية عن الأمم الماضية، مما يستحيل صدوره عن أمي مثل محمد يزعمون ما زعمه المشركون الجاهليون في عهد الرسول.

يدعي المستشرقون أن محمداً استمد هذه المعلومات من أناس كانوا يخبرونه بها، ويجعلون القرآن مأخوذاً من كتب أهل الكتاب، ويتخبطون في ذلك تخبطاً عجيباً. وحين يفحمهم ما جاء في القرآن من حقائق علمية لم تعرف ولم تكتشف إلا في هذا العصر، يرجعون ذلك إلى ذكاء محمد وعبقريته الخاصة[1].

هذه الرؤى ليست جديدة، وإنما منذ البداية كان المنهج يركز على أَنَّ حسنات الإسلام مقتبسة من سواه، لعدم إمكان إنكارها لأن القرآن جاء بها ولأن السُنَّةَ أثبتتها.

ويلاحظ أنَّ المُسْتَشْرِقِينَ اليهود – أمثال جولدتسيهر وشاخت – هو أشدُّ حرصاً على ادِّعاء استمداد الإسلام من اليهودية وتأثيرها فيه، أما المُسْتَشْرِقُونَ المسيحيون فيجرون وراءهم في

[1] – عبد الرحمن حبنكة الميداني ،أجنحة المكر الثلاثة ، ص 139.

هذه الدعوى؛ إذ ليس في المسيحية تشريع يستطيعون أنْ يزعموا تأثُّر الإسلام به وأخذه، منه، وإنما فيه مبادئ أخلاقية زعموا أنها أثرت في الإسلام.[1]

إِذًا لا يوجد إلا طريق واحد وهو أَنْ يقال :نعم إن الإسلام فيه هذا الجانب ولكنه مأخوذ عن النصرانية بواسطة ورقة بن نوفل، والإسلام فيه هذه الحسنة ولكن الذي أوحى بها إنما هو بَحِيرَا الرَّاهِبْ وبعضهم يريد أن ينسب الأمر إلى بعض اليهود الذين كانوا في شبه الجزيرة العربية، ونحن نعرف تمامًا أن مكة لم يكن فيها يهود. [2].

وهم ينكرون أنْ يكون القرآن مُنَزَّلاً من عند الله، وحين يفحمهم ما ورد فيه من حقائق تاريخية عن الأمم الماضية، مِمَّا يستحيل صدوره عن النبي الأُمِيّ محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وتبطل دعواهم ببشرية القرآن الكريم، وزعمهم بأنه ليس أكثر من تعبير عن انطباع البيئة العربية في نفس الرسول.!

كما دفعت هذه النزعة العدائية للقرآن المستشرق الألماني " نولدكه " إلى اعتبار فواتح السور ليست قرآنا، بل هي–بحسب زعمه– مجرد " رموز لمجموعات الصحف التي كانت عند المسلمين الأولين قبل أن يوجد المصحف العثماني ، فمثلاً حرف الميم يرمز إلى المصحف الذي عند المغيرة ، وحرف الهاء للمصحف الذي عند أبي هريرة ، والصاد للمصحف الذي

[1] –مصطفى السباعي ، كتاب الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ،ص 27.

[2] – أكرم ضياء العمري، كتاب موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية ، ص 63.

عند سعد بن أبي وقاص ، والنون لمصحف عثمان ، فهي برأيه إشارات لملكية المصحف وقد تركت في مواضعها سهواً ، ثم ألحقها طول الزمن بالقرآن ، فصارت قرآنا"[1].

- **قصّة الغرانيق**

مجمل هذه القصة أن محمدًا –صلى الله عليه وسلم– لما رأى تجنب قريش إياه وإيذاءهم له ولأصحابه تمنى ألا ينزل عليه شيء من القرآن ينفرهم، فجلس يومًا في أحد أنديتهم حول الكعبة، إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قرَأَ: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى} [النجم: 19، 20]، تلك الغَرانيقُ العُلَى، وإنَّ شَفاعتَهنَّ لَتُرْتَجى. ففرِحَ المُشرِكونَ بذلك وقالوا: قد ذكَرَ آلهتَنا، فجاءه جِبريلُ فقال: اقرَأْ عليَّ ما جِئْتُ به، فقرَأَ: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى} [النجم: 19، 20]، تلك الغَرانيقُ العُلَى، وإنَّ شَفاعتَهنَّ لَتُرْتَجى، فقال: ما أتَيْتُك بهذا، هذا مِن الشَّيطانِ، فأنزَلَ اللهُ: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى} [الحج: 52] الآيةَ.

فقرأ عليهم سورة النجم حتى بلغ قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمْ اللاَّتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى} [النجم: ١٩، ٢٠] .

فقرأ بعد ذلك" :تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى"، ثم مضى إلى نهاية السورة كلها وسجد في آخرها عند قوله} :فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا] {النجم: ٦٢ [، وهناك سجد القوم

[1]– يحي مراد، ردود على شبهات المستشرقين، ط1، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، 2001م، ص 243.

جميعًا، ولم يتخلف منهم أحد، وأعلنت قريش رضاها عما تلا النبي –صلى الله عليه وسلم –وقالوا له :قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، أما إذا جعلت لها نصيبًا فنحن معك، وبذلك زال وجه الخلاف بينه وبينهم. وفشا أمر ذلك في الناس حتى بلغ أرض الحبشة، فقال المسلمون بها :عشائرنا أحب إلينا. ورجعوا إلى مكة[1].

هذه القصة من جهة الإسناد لا تثبت، فما من طريق مما ذكرت ومما لم أذكر إلا روي مرسلاً أو معضلاً أو موضوعاً مفترى، سواء كان هذا موصولاً أو غير موصول، فلا يخلو إسناد من هذه الأسانيد من كذاب أو وضاع أو منكر الحديث، وروي هذا الحديث مرفوعاً وموقوفاً، وروي مرسلاً وموصولاً.

أما من جهة المتون فقد وقع فيها اضطراب عظيم في سياقاتها، فمعظم الروايات أو جلها أن الشيطان تكلم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الجملة الباطلة التي تمدح أصنام المشركين :تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، وفي بعض الروايات :أن المؤمنين مصدقون نبيهم فيما جاء به عن ربهم ولا يتهمونه على خطأ أو وهم، وهذا يدل على أن المؤمنين قبلوا من النبي عليه الصلاة والسلام الشرك الذي جاء به، بعد أن علمهم التوحيد وعلمهم أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر، وأنها لا تشفع

[1]– محمد النجار ،القول المبين في سيرة سيد المرسلين ،ص 137

لعابديها عند الله عز وجل، فهو صلى الله عليه وسلم نقض كلامه هذا وأثبت أن لها شفاعات ولم يتكلم واحد من المؤمنين[1].

يزعم المستشرق واط أنَّ قصة الغرانيق صحيحة لأنها في غاية الغرابة فلا بُدَّ أَنْ تكون حقيقة في جوهرها، إذ لا يُتَصَوَّرُ أَنْ يخترعها واحد ثم يقنع جماعة ضخمة بقبولها

والحق أنَّ عددًا كبيرًا من علماء المسلمين أنكرها مثل ابن خزيمة والبيهقي وعياض وابن العربي والرازي والقُرطبي وَالعَيْنِي وَالأَلُوسِي والشوكاني.

حين تبطل دعواهم التافهة هذه، يزعمون ما زعمه المُشركون الجَاهِلِيُّونَ في عهد الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من أنه اسْتَمَدَّ ذلك من أناس، ويتخبَّطون في ذلك تَخَبُّطاً عجيباً.!

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: " قد ذكر كثير من المفسرين قصة الغرانيق، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة، ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا، ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح.[2]

[1] –حسن الزهيري،أصول أهل السنة والجماعة، ج2،ص 12.

[2] – أحمد القصير ، التحقيق في قصة الغرانيق ،ص 20

وحين يفحمهم ما جاء في القرآن من حقائق علمية لم تُعْرَفْ وَتُشْكَفْ إلاَّ في هذا العصر، يُرْجِعُونَ ذلك إلى ذكاء النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، ويقعون في تخبُّط أشدَّ غرابة مِمَّا سبق.!

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي :– فعلى القولِ ببطلانِها؛ فالأمرُ واضحٌ.

وعَلى القولِ بثُبوتِها؛ فمعنى إلقاء الشَّيطانِ على لِسانِ النبيِّ – صلى الله عليه وسلم – أَنَّه – صلى الله عليه وسلم – كانَ يقرأُ القُرآنَ؛ يُرَتِّلُهُ تَرْتيلاً تتخَلَّلُهُ سَكَتاتٌ، فراقَبَ الشَّيطانُ بعضَ سَكَتاتِ النبيِّ – صلى الله عليه وسلم –، ثمَّ حَاكَى قِراءَتَهُ – صلى الله عليه وسلم – بقولِهِ –عليهِ لعنةُ اللهِ–: "تلك الغَرانيقُ العُلَا. وإنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لتُرْتَجى"! فظنَّ المُشْرِكونَ صوتَ الشَّيطانِ صوتَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم.[1]

والواضح أن مسألة الغرانيق مع استحالتها شرعًا، ودلالة القرآن على بطلانها لم تثبت من طريق صالح للاحتجاج، وصرح بعدم ثبوتها خلق كثير من علماء الحديث كما هو الصواب. والمفسرون يروون هذه القصة عن ابن عباس من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس. ومعلوم أن الكلبي متروك، وقد بين البزار رحمه الله :أنها لا تعرف من طريق يجوز ذكره إلا طريق أبي بشر، عن سعيد بن جبير، مع الشك الذي وقع في وصله.

[1] – محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ج 5، ص 796.

وقد اعترف الحافظ ابن حجر مع انتصاره لثبوت هذه القصة بأن طرقها كلها إما منقطعة أو ضعيفة إلا طريق سعيد بن جبير.

وإذا علمت ذلك فاعلم أن طريق سعيد بن جبير لم يروها بها أحد متصلة إلا أمية بن خالد، وهو وإن كان ثقة فقد شك في وصلها.

فقد أخرج البزار، وابن مردويه من طريق أمية بن خالد، عن شعبة عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فيما أحسب. ثم ساق حديث القصة المذكورة .وقال البزار :لا يرى متصلًا إلا بهذا الإسناد، تفرد بوصله أمية بن خالد، وهو ثقة مشهور .وقال البزار :وإنما يروى عن طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس. والكلبي متروك.[1]

- **شبهات حول ألفاظ القرآن الكريم**

ينفى المستشرق الألماني نولدكه في كتابه تاريخ القرآن أن تكون فواتح السور من القرآن ,مُدَّعياً أنها رموز لمجموعات الصحف التي كانت عند المسلمين الأوَّلين قبل أن يوجد المصحف العثماني, فمثلاً حرف الميم كان رمزاً لصحف المغيرة, والهاء لصحف أبي هريرة، والصاد لصحف سعد بن أبي وقاص، والنون لصحف عثمان. فهي عنده

[1] – محمد الأمين الشنقيطي ، كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – ط عطاءات العلم ، ج 5ص 796.

إشارات لملكية الصحف. وقد تُركت في مواضعها سهواً، ثم ألحقها طول الزمان بالقرآن فصارت قرآناً [1].

وعلى الرغم من أنَّ بعض تلاميذ المُسْتَشْرِقِينَ من العرب والمسلمين يقولون عن القرآن الكريم كلاماً يدل على اعتقادهم أنه فِكْرٌ تَأَثَّرَ ببيئة عربية مُعيَّنة، فإنَّ هناك عدداً من علماء المسلمين المعاصرين قد أعدُّوا دراسات علميَّة وافية في دحض تلك المزاعم الباطلة، والافتراءات المتهافتة .

حيث تبدت بذلك محوريّة القرآن الكريم والسنة النبوية في الدراسات الاستشراقيّة ،و تطورت في مضامينها بصورة هائلة، وهذا لا يعني بالطبع عدم وجود دراسة مغرضة هدفها تشويه سمعة الإسلام .

[1] – صدر الدين كومش، مصادر القرآن الكريم عند المستشرقين، ص24.

المحاضرة العاشرة: المستشرقون والسنّة النبوية

انكب عدد وافر من المستشرقين على دراسة السنة النبوية ،تجلى ذلك في الثغرات المنهجية التي تتردد في معطيات المستشرقين حول السنة النبوية عبر الانسياق وراء النزعة التشكيكية التي تبلغ على أيدي بعضهم حدّ النفي الكيفي للروايات أو إثارة الشكوك حول صحتها.

- **منزلة السنة من الدين**

يعود ذلك لما للسنة النبوية الشريفة من بالغ الأهمية بما ما لم يختلف عليه ذوو العلم والألباب، فهي وحيٌ من الله تبارك وتعالى إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى" [النجم: 3، 4]

والمقصود بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مجموع ما صدر عنه من قول أو فعل أو تقرير، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين ما أراد القرآن أحيانا بالقول وحده، وأحيانا بالفعل وحده، وأحيانا بهما، كما صلى وقال" :صلوا كما رأيتموني أصلي "، وحج وقال" :خذوا عني مناسككم "؛ فهي إذا شارحة للقرآن تبين مجمله وتقيد مطلقه، وتؤول مشكله، فليس في السنة شيء إلا والقرآن دلّ على معناه دلالة إجمالية، أو تفصيلة وتلك الدلالة من وجوه[1].

[1] – عبد المنعم السيد نجم ،تدوين السنة ومنزلتها،ص 27.

ولعظم أهمية السنة حرَص النبيُّ صلى الله عليه وسلم على تعليمِها للصحابة رضي الله عنهم، ثم علَّمها الصحابة للتابعين، ثم علَّمها التابعون لتابعيهم، إلى أن وصلت إلينا عن طريق رواة ثقات أفذاذ عدول من هذه الأمة، قد قيَّضهم الله تعالى لهذا الدين الحنيف، فوصلت إلينا بالحفظ والتعليم والتدوين والتنقيح؛ لأنها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم.

وقد دلَّ على حجيتها ووجوب الأخذ بها: الكتاب والسُّنَّة والإجماع.

*فمن نصوص الكتاب الدالة على حجية السُّنَّة النبوية:

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقد أفاض علماءُ الإسلام قديماً وحديثاً في الكلام على حجيَّة السُّنَّة النبوية، ومكانتها العظيمة في الإسلام، وبعضهم أفرد كتباً مستقلّة في ذلك.

حيث اجتمع علماء الأمة قاطبة قديماً وحديثاً على أن السُّنَّة النبوية هي أحد المصادر الرئيسة في التشريع الإسلامي، وأنها المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، وأنها وحي غير متلو من قِبَلِ الله[1].

- **منهج المحدّثين في التعامل مع السنّة**

مما لا بد أن يعلم كيفية وصول السنة إلينا، وهي أقوال وأفعال وتقريرات النبي صلى الله عليه وسلم، حتى تكونَ بمثابة هدايةٍ لنا بعد القرآن الكريم، وكذلك ما مرَّ بها من مراحل في النقل والتواتر منذ أن تلقَّاها الصحابة رضي الله عنهم من فِي النبي صلى الله عليه وسلم إلى نهاية القرن الثالث الهجري وما بعده، إلى أن أصبحت مجموعةً في الصحاح والجوامع والمسانيد والدواوين التي جمعت ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم .

تكاد تجمع الروايات أن أول من فكر بالجمع والتدوين من التَّابِعِينَ عمر بن عبد العزيز، إذ أرسل إلى أبي بكر بن حزم عامله وقاضيه على المدينة ، بل أرسل إلى ولاة الأمصار كلها وكبار علمائها يطلب منهم مثل هذا، فقد أخرج أبو نعيم في "تاريخ أصبهان "أَنَّ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الآفَاقِ " انْظُرُوا إِلَى حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ فَاجْمَعُوهُ " [2].

---

[1] –هاني فقيه ،المدخل في تاريخ السنة ، ص 18.

[2] – مصطفى السباعي ، السنة ومكانتها ، ج1، ص 104.

وبذلك نَفَّذَ عمر رغبة جَدِّهِ عمر بن الخطاب التي جاشت في نفسه مُدَّةً ثم عدل عنها خوفاً من أن تلتبس بالقرآن أو يصرف الناس إليها، والذي يظهر أن أبا بكر بن حزم كتب لعمر شيئاً مِنَ السُنَّةِ فقد أنفذ إليه ما عند عَمْرَةَ والقاسم، ولكنه لم يُدَوِّنُ كل ما في المدينة من سُنَّةٍ وَأَثَرٍ، وإنما فعل هذا الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهْرِيّ الذي كان عَلَماً خفَّاقاً من أعلام السُنَّةِ في عصره والذي كان عمر بن عبد العزيز يأمر جلساءه أن يذهبوا إليه لأنه لم يبق على وجه الأرض أحد أعلم بِالسُنَّةِ منه، والذي ذكر "مسلم " أن له تسعين حَدِيثًا لا يرويها غيره، وذكر كثيراً من أئمة العلم في عصره أنه لولا الزُّهْرِيّ لضاعت كثير من السُنَنِ [1].

تأسيسا على ما سبق يظهر فضل السند وعظمته في حفظ الشريعة من الخلط والدَسّ فيها.

فلما انتشر الإسلام واتسعت الأمصار، وتفرقت الصحابة في الأقطار، وكثرت الفتوحات، ومات معظم الصحابة وتفرقت أصحابهم وأتباعهم وقلّ الضبط، وكاد الباطل يلتبس بالحق احتاج العلماء إلى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة.

يعضد ذلك الرواية عن عبد الله بن المبارك إذ يقول :" الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء قال أبو عبد الله فلولا الاسناد وطلب هذه الطائفة له وكثرة

[1] – المرجع نفسه ،ج1،ص 105.

مواظبتهم على حفظه لدرس منار الاسلام ولتمكن أهل الالحاد والبدع فيه بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد فان الاخبار إذا تعرت عن وجود الأسانيد فيها كانت بترا ".[1]

فمارسوا الدفاتر وسايروا المحابر وعقدوا العزم وأجابوا في نظم قلائده أفكارهم، وأنفقوا في تحصيله أعمارهم، واستغرقوا في تقييدهم ليلهم ونهارهم، فأبرزوا تصانيف كثرت صنوفها، ودونوا دواوين ظهرت شفوفها؛ فاتخذها العالمون قدوة، ونصبها العارفون قبلة [2].

[1] – أبو عبد الله الحاكم ، كتاب معرفة علوم الحديث للحاكم ، ص 06.

[2] – المرجع السابق،ص 34.

المحاضرة الحادية عشرة[1]: جهود المحدّثين في حفظ السنّة

وقد أدى علم المصطلح وظيفة الحفاظ على السنة النبوية من خلال قواعد دقيقة لنقد السند والمتن مما أدى لمعرفة أنواع الحديث والتمييز بين الصحيح والحسن والضعيف والموضوع. والوظيفة الأخرى التي أداها علم المصطلح هو تقسيم الحديث إلى مقبول ومردود؛ ولهذا يعتقد المسلمون أن ما عندهم من أحاديث مقبولة هي فعلا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين؛ لأنها نقلت إلينا بواسطة رواة ثقات يعتمد عليهم. [2]

- **إلزام الرُواة بذكر الإسناد**

وأول من بدأ بإلزام الرواة بذكر أسانيدهم، وحمل لواء ذلك أبو بكر الصديق – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –، حيث سَنَّ أمر التثبُّت من الراوي، فلم يقبل من أحد الصحابة – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ – حديثاً يرفعه إلى النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، حتى يشهد معه غيره بأنه سمعه من النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وسار عمر – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – على سُنَّةِ أبي بكر – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –، وكذلك عثمان – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –، وكان عليٌّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – يستحلف الراوي، أَسَمِعَ حديثه من

[1] – فائدة لغوية : نقول الحادية عشرة، لأن العدد 11 يطابق المعدود تذكيراً وتأنيثاً في جزأيه.

[2]– عبد الله الخطيب ، الرد على مزاعم المستشرقين، ص 04.

النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أم لا ، وهذا يُبَيِّنُ أنَّ الإسناد قد تَخَطَّى مرحلة استخدامه واستعماله إلى مرحلة إلزام الراوي بذكر إسناده .. وهؤلاء الصحابة هُمْ عِلْيَةِ القوم، والناس تَبَعٌ لهم .

وقد أخذت الحركة العلمية التدوينية في الحديث في الإزدهار، وتجرَّد لهذا العمل الجليل قوم عرفوا بالأمانة والصدق والتحري والتثبت، وأخذوا أنفسهم بمجافاة المضاجع، ولازموا الدفاتر والمحابر، وحرصوا على لقاء الأشياخ، والأخذ من الأفواه، وسهروا في سبيل ذلك الليالي الطوال، وقطعوا الفيافي والقفار، وطوفوا في البلدان والأقاليم، وضربوا في سبيل العلم والرواية، على ما كانوا عليه من قلة المؤنة وعسر وسائل السفر والارتحال، مُثُلاً عليا تجعلهم في عداد العلماء الخالدين[1] .

- ***منهج المستشرقين في التعامل مع السنّة***
- **وضع الحديث**

تعرضت السنة النبوية الشريفة للطعون والشبهات من الحاقدين والحاسدين منذ العصور الأولى للإسلام، ومنذ بداية القرن العشرين تعرضت السنة لحملة طعون وشبهات مغرضة من المستشرقين بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وتشكيكهم في أهم مصادر الدين.

[1] –محمد بن سويلم ، دفاع عن السُنَّة ورد شبه المُسْتَشْرِقِينَ والكتاب المعاصرين،ص 24.

ويتذرَّعُ هؤلاء المُسْتَشْرِقِينَ – أحياناً – بما دخل على الحديث من وَضْعٍ ودَسٍّ، متجاهلين تلك الجهود التي بذلها علماؤنا لتنقية الحديث الصحيح من غيره، مستندين إلى قواعد بالغة الدِقَّةِ في التثبُّتِ والتحرّي، مِمَّا لم يعهد عُشْرَ مِعْشَارِهِ في التأكد من صِحَّةِ الكتب المقدَّسة عندهم!

يلاحظ في دراسة هربلو التكذيب للرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَاتِّهَامِهِ بِالزَّيْفِ والألقاب الأخرى الشائنة، والزعم بأن المُحَمَّدِيَّةَ مستقاة من "التلمود" ، واليهود الذين دخلوا في الإسلام، مِمَّا سيتطور فيما بعد إلى الاستقاء من عدة ديانات وحضارات كانت على صلة بجزيرة العرب. [1].

والذي حملهم على ركوب متن الشطط في دعواهم هذه ما رأوه في الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا من ثروة فكرية وتشريعية مُدْهِشَةٍ، وهم لا يعتقدون بنبوَّة خاتم النبيّين – كما أسلفنا – فادَّعُوا أنَّ هذا لا يعقل أنْ يصدر كله عن النبي الأميّ، بل هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، فالعقدة النفسية عندهم هي عدم تصديقهم بنبوَّةِ خاتم النبيّين – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ومنها تنبعث كل تخبُّطاتهم ومُفترياتهم وجهالاتهم.!

[2]

[1] – أكرم ضياء العمري، كتاب موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية ، ص 71.

[2]– مصطفى السباعي ، الإستشراق والمستشرقون ،مرجع سابق، ص 28.

في نهاية القرن السابع عشر كتب هربلو De Herbelot صاحب "لمكتبة الشرقية "وهي دائرة معارف عن الشرق نُشرت 1738 م – بحثًا في "حديث، قصة، خبر مسموع مقول، أحاديث الرسول، حديث عن أشياء قالها الرسول الزائف وقد نقل من فم إلى فم ومن شخص إلى آخر".[1].

وخلاصة رأيه أَنَّ جملة الأحاديث التى في "الكتب الستة " و "الموطأ " و "الدارمي "و "الدارقطني " و "البيهقي " و "السيوطي " مأخوذة إلى حد كبير من "التلمود."

ويلاحظ أنه يُفَرِّقُ بين السُنَّةِ التى التزم المسلمون بتطبيق أحكامها وبين الحديث الذي هو مُجَرَّدُ خبر تاريخى غير موثوق .

فيما يزعم جُولْدْتسِيهِرْ أنَّ السُنَّة: هي جوهر العادات، وتفكير الأُمَّة الإسلامية قديماً، فهي العادة المقدَّسة والأمر الأول ، وأنه ما من أمر أو فعل يوصف عندهم بالفضل أو العدالة، إلاَّ إذا كان له أصل في عاداتهم الموروثة أو مُتَّفقاً معها، وهذه العادات التي تتألَّف منها السُنَّة تقوم عندهم مقام القانون أو الديانة، كما أنهم كانوا يرونها المصدر الأوحد للشريعة والدِّينِ، ويعدُّون اطراحها خطأ جسيماً، ومخالفة خطيرة للقواعد المعروفة، والتقاليد المرعية التي لا يَصِحُّ الخروج عليها، وما يصدق عن الأفعال أيضاً يصدق عن

[1] – أكرم ضياء العمري، كتاب موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية ، مرجع سابق ،ص 70.

الأفكار الموروثة، والجماعة يَتَحَتَّمُ عليها أنْ لا تقبَلَ في هذا المجال شيئاً جديداً لا يتَّفق مع آراء أسلافها الأقدمين. [1]

[1]– مصطفى السباعي ، الإستشراق والمستشرقون ،مرجع سابق، ص 28.

المحاضرة الثانية عشرة: شبه المستشرقين حول الحديث

- **شبهات المستشرقين حول الأحاديث**

حين يراجع الباحث كتابات المستشرقين يجد أَنَّ موقفهم من السُنَّة هو جزء من موقفهم من القرآن وسيرة الرسول تمامًا، فإنَّ السُنَّةَ هي جزء من حياة الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وهي تفسير للقرآن فلا بد أَنْ تنالها الشبهات وتصل إليها السموم وعوامل التزييف.

يقول العالم الفرنسي المسلم إتيان دينيه :" إِنَّهُ مِنَ العَسِيرِ أَنْ يَتَجَرَّدَ المُسْتَشْرِقُونَ مِنْ عَوَاطِفِهِمْ وَنَزَعَاتِهِمْ عِنْدَمَا يُؤَرِّخُونَ حَيَاةَ الرَّسُولِ أَوْ يَدْرُسُونَ سُنَّتَهُ".[1]

- تكذيب كيب لحديث :" مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ «بِحُجَّةِ أنه وضع لِلْرَدِّ على حركة الوضع !!

مع أنَّ الحديث متواتر، رواه مائتان من الصحابة وله أكثر من أربعمائة طريق.

– دعوى فنسنك أنَّ حديث " بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ ... " موضوع بعد الالتقاء مع نصارى الشام والتأثر بهم ، متناسبًا أنَّ الشهادتين تردان في الأذان والصلاة.!! [2]

---

[1]– أنور الجندي، السنة النبوية في مواجهة شبهات الاستشراق، ص 12.

[2] – أكرم ضياء العمري، كتاب موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية ، مرجع سابق ص 70.

–يشكك موريس بوكاي ببعض الأحاديث في "صحيح البخاري " في كتاب بدء الوحي وكتاب الطب لأنها لا توافق العلم الحديث، والأحاديث التي تكلم فيها من المشكل الذي تكلم فيه العلماء القدامى.

وقد شكك جولدتسيهر في صحة وجود صحف كثيرة في عهد الرسول، راميًا من وراء ذلك إلى إضعاف الثقة باستظهار السُنَّة وحفظها في الصدور، وهو يرمي أيضًا إلى وصم السُنَّة –أو أغلبها– بالاختلاق والوضع على أَلْسِنَةِ المُدَوّنِينَ، وهو يزعم أَنَّ هؤلاء المُدَوّنِينَ لم يجمعوا من الأحاديث إلاَّ ما يوافق هواهم. [1]

وقد أخطأ جولدتسيهر في نظريته هذه من عدة نواح، الرئيسة منها أنه تجاهل اهتمام المحدِّثين الشديد بنقد الحديث سندا ومتنا.

وفي الواقع قام بفحص فرضيته مستشرق شهير في الربع الأول من القرن العشرين، وهو هوروفيتس (J. Horovitz)الذي كتب سلسة من رسائل علمية معمقة أثبت فيها أن جمع الأحاديث وتدوينها بدأ بدقة في الربع الثاني من القرن الأول الهجري فلم تلق نظرية جولدتسيهر قبولاً من قبل عامة المستشرقين[2] .

وفي معرض الرد على شبهاتهم ودحض داعويهم يستدل مصطفى السباعي بحرص الصحابة على حفظ حديث رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ونقله وحرص التَّابِعِينَ

[1] – أنور الجندي ، السنة النبوية في مواجهة شبهات الاستشراق ، مرجع سابق ، ص 13.

[2] – محمد مهر علي، مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم، ص 06.

وتابعي التَّابِعِينَ فمن بعدهم، على نقل هذا الحديث وجمعه وتنقيته من شوائب التحريف والتزيد.

وما قام به علماء السُنَّةِ من جهود جبارة في تتبع الكَذَّابِينَ والوَضَّاعِينَ، وفضح نواياهم ودخائلهم، وبيان ما زادوه في السُنَّةِ من أحاديث مكذوبة، حتى جمعت السُنَّة في كتب صحيحة، وأشبعها النُقَّاد بحثاً وتمحيصاً، ثم خرجوا من ذلك إلى الاعتراف بصحتها والتسليم بها، إذا أمعنت النظر في ذلك كله، أيقنت أنَّ هؤلاء المُسْتَشْرِقِينَ يخبطون في أودية الأوهام، ويتأثرون بأهوائهم وتعصبهم في الحُكْمِ على حقائق يعتبر العبث بها في نظر المُحَقِّقِ المنصف إسفافاً وتلاعباً بالعلم، وإخضاعاً لحقائق التاريخ إلى نظريات الهوى والعصبية.[1]

وخلاصة القول أن دراساتهم اتسمت بالبعد عن المنهج العلمي والخروج عن الموضوعية ،مع وجهلهم في الكثير من الأحيان بعلوم القرآن الكريم والسنة ومصادرهما.

أخيرا يمكن وصف الدراسات الاستشراقية للكتاب والسنة بأنها مضللة ومغرضة وجاءت فقط لتحقيق مطامع الغرب لأجل تطويع الشرق وإحلال نسق حضاري بديل عنه وهو ما يبين خطرها على الشخصية الحضارية المسلمة.

[1] – مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ج1،ص 195.

خـــاتمة :

نخلص إلى أن الاستشراق من حيث المفهوم والنشأة والأهداف، يرتبط بمحاور أساسية وبمعالم تسمه وتفسر جهود رواده نوردها عبر العناصر التالية:

- الإستشراق هو حركة علمية (أكاديمية) من أهل الكتاب من شرقيين وغربيين وأمريكيين وغيرهم ممن ينظر إلى الإسلام بالمنظار الغربي.

– الهدف من الإستشراق تشويه الإسلام وتشكيك المسلمين في دينهم، وذلك بالطعن في أهم مصادر التشريع : القرآن والسنة وتاريخ المسلمين.

- يروم الاستشراق إنشاء مجتمعات تابعة للغرب في الفكر والاقتصاد والسياسة والاجتماع، ليسهل استغلالهم اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً.

- الإستشراق ذو علاقة وطيدة مع الاستعمار، فلا استعمار بدون استشراق ولا استشراق من غير دول استعمارية.

- هدف الظاهرة الاستشراقية هو حماية النصارى من خطر الإسلام–حسب زعمهم–بحجب حقائق القرآن والسنة عنهم، واطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا المقدسات.

– من أهداف الاستشراق تنصير المسلمين وإبعادهم عن دينهم عبر التشكيك في كتابهم وسنة نبيهم وحضارتهم .

وقصارى القول أن الاستشراق ظاهرة متجددة ومركوزة في السياق التفاعلي بين الشرق والغرب؛ في إطار المناكفة الحضارية والتدافع السنني، ونحن إذ سردنا مفهوم الاستشراق وأهدافه نرى أن الاستشراق؛ ولد من رحم الغزو الثقافي الفكري في إطار الحملة الغربية على بلاد الإسلام وجموع المسلمين، وان الهدف الديني هو الأكبر في نتاج الظاهرة الاستشراقية وجحافل المستشرقين يروم اقتلاع الشخصية الإسلامية وإحلال نسق بديل عنها؛ من أجل تطويعها وتذويبها في القالب الغربي.

فهرس الموضوعات

➢ موائمة المقياس	03
➢ مقدمة	05
➢ المحاضرة الأولى: مدخل إلى دراسة الاستشراق	07
➢ المحاضرة الثانية : نشأة الاستشراق وتطوّره	14
➢ المحاضرة الثالثة : أهداف الاستشراق	19
➢ علاقة الاستشراق بالتنصير	19
➢ محاولات جادّة لفهم الإسلام (نماذج)	30
➢ فئات المستشرقين	33
➢ المحاضرة الرابعة: علاقة الاستشراق بالاستعمار	36
➢ مناهج المستشرقين في دراسة التراث الإسلامي	44
➢ المحاضرة الخامسة : مظاهر النشاط الاستشراقي	41
➢ المحاضرة السادسة :أدوات الاستشراق ووسائله	52
➢ المحاضرة السابعة : أشهر المستشرقين وأعمالهم	62
➢ المحاضرة الثامنة: المستشرقون والقرآن الكريم	77
➢ مكانة القرآن الكريم في حياة المسلمين وخطورته في نظر الغرب	78
➢ نماذج لآراء المستشرقين حول القرآن الكريم	80
➢ ترجمة المستشرقين للقرآن الكريم	83

➢ المحاضرة التاسعة: شبهات المستشرقين حول القرآن الكريم	86
➢ شبهة الانتحال	87
➢ شبهات حول الوحي (الصرع-الإلهام)	89
➢ شبهات التحريف (حول صحّة النص القرآني)	91
➢ قصة الغرانيق	94
➢ شبهات حول ألفاظ القرآن الكريم	98
➢ المحاضرة العاشرة: المستشرقون والسنّة النبوية	100
➢ منزلة السنة من الدين	100
➢ منهج المحدّثين في التعامل مع السنّة	102
➢ المحاضرة الحادية عشرة : جهود المحدّثين في حفظ السنّة	105
➢ منهج المستشرقين في التعامل مع السنّة	106
➢ المحاضرة الثانية عشرة: شبه المستشرقين حول الحديث	110
➢ شبهات المستشرقين حول الأحاديث ➢	110
➢ خاتمة	113
➢ فهرس الموضوعات	115
➢ قائمة المصادر والمراجع	117

- **قائمة المراجع**

- أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، ط1، دار الأصالة للنشر والإعلام، الرياض، 1988م.
- إدوارد سعيد، الاستشراق: المعرفة–السلطة –الإنشاء، ط5، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 2005 م.
- أكرم ضياء العمري، كتاب موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية، ط1، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة– السعودية.
- بارت رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه، ترجمة: مصطفى ماهر، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة،2011م .
- عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط1، دار العلم للملايين، 1993م.
- عبد المتعال محمد الجبري، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، ط 1، مكتبة وهبة، القاهرة–مصر ،1995م.
- عبد المنعم محمد حسنين، الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته.
- علي بن إبراهيم النملة، كنه الاستشراق: المفهوم –الأهداف – الارتباطات، ط3، دار بيسان، بيروت–لبنان، 1432هـ–2011م.

- علي حسن الخربوطلي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة–مصر، 1988م.
- مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط1، دار الإرشاد، بيروت، 1388هـ –1969م.
- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط2، دار المنار،1409هـ–1989م.
- مصطفى السباعي، الإستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ط 3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1405هـ –1985م.
- يحي مراد، ردود على شبهات المستشرقين، ط1، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، 2001م.
- يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق ترجمة: عمر لطفي العالم، ط 2، دار المدار الإسلامي، بيروت – لبنان ،2000م.